جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالإسكندرية
قسم الأدب والنقد

بحث

السخرية فى شعر
أبي الطيب المتنبي

مقدم من الدكتورة

حفيظة إسماعيل رمضان محمد على

المدرس بقسم الأدب والنقد

السخرية فى شعر ابي الطيب المتنبي

تمهيـــــــد

أبو الطيب المتنبي قمة من قمم الشعر العربـــي الشـامخة عـبر العصور والأجيال وعلم بارز استطاع بقوة شـخصيته وبديـع نظمـه أن يفرض نفسه على عصره والعصور التالية .. نجد ذلك فى سخريته كمـا نجده فى جده وثورته ..

فالاتجاه الساخر يمثل جانبا من جوانب الإبداع الفنى المتميز فـي شعر أبي الطيب المتنبي ويعد سمة من سمات فنه الشعري.

ويبدو أن هذا الاتجاه الساخر فى شعر أبي الطيب المتنبـي ظـل جانبا من الجوانب الخفية في شاعرية المتنبي ولعل جديته البالغة وثورتـه الدائمة التي تظهر بصورة مكثفة فى شعره هى التى حجبت هذا الجـانب من جوانب شاعريته وقلما لفتت اليها انظار الباحثين.

ولذلك حاولت أن أزيل اللثام عن هذا الجانب الساخر من جوانـب شاعريته وأن أتناوله فى بحث مستقل يؤصل لهذا الاتجـاه الخفـي فـى شاعريته ملقية عليه الأضواء بصورة مركزة خاصة وأن السـخرية فـى شعر أبي الطيب المتنبي تتسم بكونها لاذعة تعتمد على العبثية والتنـاقض

اللذين يعدان من أبرز سمة من سمات كبار الشعراء الساخرين فـى الآداب العالمية[١]

وأغلب الظن انه لم يفرد أحد من الباحثين السخرية فى شعر أبـى الطيب المتنبي ببحث مستقل يؤصـل لـها ويبيـن دوافعـها وأشـكالها وخصائصها الفنية فى شعر المتنبي لأن ما ورد عن بعض البـاحثين لـم يتعدى اشارات خاطفة وتلميحات سريعة أو حديث عارض فى أثناء تنـاول موضوع آخر بالبحث كالمازني فى كتابه حصاد الهشيم عند حديثـه عـن ابن الرومى [٢] والدكتور طه أبو كريشه فى حديثه عن الصورة الفنية فـى شعر أبي الطيب المتنبي [٣] والدكتور نعمان القاضى فى كتابه كافوريـات أبو الطيب المتنبي فى أثناء حديث عن هجائياته لكافور وقوله أن بعضـها يأخذ شكل السخرية [٤] والباحثة فى اثناء حديثها عن التأمل فى شعر أبـى الطيب المتنبي [٥]

---

(١) المعجم الأدبى / جبور عبد النور مادة سخر ط لبنان سنة ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣.
المعجم المفصل فى اللغة والادب / محمد التونجى جـ ٢ ص ٥٢٢ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة ١٤١٣هـ سنة ١٩٩٣م.

(٢) ألمح المازنى فى كتابه حصاد الهشيم إلى أن ابن الرومي والمتنبى انفردا من بين شعراء العرب الأمة الفطن الى ان يحيلا المهجو مضحكاً وموضع استهزاء وان يركبا المهجو بالسخرية والفكاهة عن طريق رصده فى صورة دميمة وخاصة اذا ادّعى الكمال فصار أدعى للسـخريه انظـر حصاد الهشيم / ص ١٢٣ المطبعة العصرية بمصر ط ٣ ١٩٤٨ م.

(٣) أشار الدكتور ابو كريشة فى كتابه الصورة الفنية فى شعر ابو الطيب المتنبى الى وجود بعـض الصور الكاريكاتورية الساخرة انظر الخيال الشعرى عند أبى الطيب المتنبي / طه ابو كريشه ص ١٧٥ د دار التوفيقية بالأزهر- الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ ١٩٧٨ م.

(٤) انظر كافوريات ابى الطيب المتنبى / نعمان القاضى ص ٣٠٢ - ٣٠٣ ط مركز كتـب الشـرق الأوسط ١٩٧٥.

(٥) أشارت الباحثة فى رسالتها " التأمل فى الكون وظواهر الحياة فى شعر ابى الطيـب المتنبـى إلى أن تأمل ابى الطيب المتنبى قد ادى الى السخرية وظهور الصورة الساخرة فى شعره.

ولذلك تناولت السخرية فى شعر ابى الطيب المتنبى كبحث مستقل ومنفرد راجية من الله أن يجانبني الصواب فى التأصيل لها واظهار سخريته ودوافعها فى شعره وتتبع اشكالها وبيان أهم سماتها وخصائصها الفنية مسلطة الأضواء على جانب جديد من جوانب شاعريته التى ستبقى منبعا لا ينضب ومضيفة إلى كبار شعراء السخرية شاعرا متميز بسخريته الناقدة اللاذعة .

مفهوم السخرية بين المدلول اللغوى والأدبي :

تدور مادة السخرية فى كتب اللغة حول معنى الاستهزاء والإضحاك من السلبيات والقهر على تكلف ما لا يطاق [1] وكأن الإضحاك مكمل للاستهزاء ومتمم له في إحداث القهر لمن يتعرض له بالسخرية وتكليفه بما لا يطيق .

يقول صاحب تاج العروس :

(سُخْرا) بالفتح وسكون ، (وسَخَرًا) محركة و (سُخرُة) بالضم و(سَخَرًا) بالفتح ، (سُخْرا) بضم فسكون ، و (سُخُرا) بضمتين .

هزئ به :

ويروى بيت اعشى باهلة بالوجهين (بضمتين وبالتحريك)

أنى أتتني لسان لا أسر بها من علو لا عجب منها ولا سُخُرُ

والإسم (السخرية والسخرى) بالضم ويكسر و(سخريا) بالكسر ويضم، و (سخره تسخيرا) : كلفه ما لا يريد وقهره وهو (سخره لى وسخري وسخرى) بالضم والكسر وقيم (السُخرى) بالضم من التسخير و (السِخرى) بالكسر من الهزء وقد يقال فى الهزء سخري وسخرى وأما من السخرة فواحده مضموم .

---

(١) انظر لسان العرب ج٣ ص ١٩٦٣ ط دار المعارف .

= القاموس المحيط / للفيروز ابادى ص/ ٤٦ تحقيق ابراهيم مصطفى . ط٣ المطبعة الحسينية المصرية ١٩٣٣.

= المعجم الوسيط ٢ / ١٠٠١ ت ذ ابراهيم مصطفى انيس وآخر ط الثانية . ط مجمع اللغة العربية.

= أساس البلاغة / للزمخشرى ص ٢٨٩ ط دار صادر بيرون ط الأول سنة ١٤١٢ لسنة ١٩٩٢ .

(ورجل سخرة) ضحكة يسخر بالناس وفى التهذيب يسخر من الناس والأفصح (سخر منه) وإنما جاء (سخر به) لتضمنه معنى هزئ) [١]

المعنى الأدبى للسخرية :

ولا يبعد المعنى الأدبي لفن السخرية عن معناها اللغوي بل يدور فى فلكه . يقول صاحب المعجم الأدبي : السخرية هى نوع من الهزء قوامه الامتناع عن أسباغ المعنى الواقعي أو المعنى كله على الكلمات والإيحاء عن طريق الأسلوب وإلقاء الكلام بعكس ما يقال[٢]

ويؤكد هذا المعنى صاحب معجم المصطلحات فى اللغة والأدب الذي يرى أن السخرية قد برزت فى كثير من الأثار الأدبية وعنى بها عدد من كبار الكتاب والشعراء واتخذوها إسلوبا فى الإبانة عن آراء أو مواقف خاصة تتناول الناس أو قضايا الحياة.

وأن الجاحظ وابن الرومى من أبرز الأدباء العرب الساخرين كما أن " أنا تول فرانس " و " برنارد شو " من اشهرهم من الآداب الغربية"[٣]

ويتتبع صاحب المعجم المفصل فى الأدب معاني السخرية فيرى أنها " أسلوب يتبعه الفلاسفة الإغريق على طريق طرح الأسئلة مع التظاهر بالجهل ، وقول شئ فى معرض ذكر شئ آخر مثل سخرية " سقراط فى محاورات " أفلاطون " التى تتميز بالتظاهر بالجهل والتظاهر بالغباء ، بغية وصوله الى البرهان على رأيه .

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس / للزبيدى ج٣ ص ٢٦٠ د دار الفكر للطباعة والنشر .

(٢) المعجم الأدبى / جبور عبد النور مادة سخرط لبنان سنة ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م

(٣) معجم مصطلحات اللغة والأدب م/ مادة سخر.

واستخدم الأسلوب الساخر فى العصر الحديث ، وغدا تيارا ظاهرا قالبه النقد اللاذع مثل " انا تول فرانس " و " برنارد شو " أما " جوناثان سويفت " فقد اشتهر بانتقاداته الموجعة اللاذعة الحادة " [1]

إذن فالسخرية بمعناها الأدبى :

هى ظاهرة أدبية وطريقة فنية [2] تصور وتنقد تصلبا شاذا أو ذهولا عن الحياة وما فيها من نظم واساليب وتنافر مع قوانين الطبيعة وتبرزها بطريقة خاصة كاللعب بالألفاظ أو كالمبالغة فى عرضها وإبرازها بصورة مضحكة أو منفرة أو تسليط الأضواء على ما تحمله من متناقضات أو المقارنة بين عامل ونتيجة لم تكن متوقعة أو التعالي على الأحداث والاستخفاف بها للانتصار على هذا التناقض والقضاء على هذا الخطأ.

فهى فن إبراز الحقائق المتناقضة والأفكار السلبية فى صورة تغري بمقاومتها والرد عليها وإيقاف مفعولها من غير أن يلجأ إلى الهجوم المباشر ، أو يبدو فى موقف يكون فيه هدفا للانتقام من خلال ما تتمتع به السخرية من جدية فكهة تعطيها امكانية سرعة النفاذ إلى العقول والتأثير فيها .

---

(١) المعجم المفصل فى الأدب / محمد التونجى ج ٢ ص ٥٢٢ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م.

(٢) قد يتساءل البعض ه السخرية ظاهرة فنية كمثيلاتها من الظواهر الفنية كالتأمل والزهد والمجون والتشاؤم أم أن السخرية فن مستقل يضاهي فن الهجاء وغيره من الفنون الأدبية.
ويبدو أن السخرية ظاهرة أدبية وفنية منفردة بالدراسة كمثيلاتها من الظواهر والاتجاهات وهذا هو ما تجمع عليه المعاجم الأدبية .

وهى " تعمل بذكاء لتحويل الشئ أو المنظر الذى ترصده الى صورة دميمة لتسقطه فى النهاية من عالم المثل ومن حسابات الجمال الذى قد يكون فى كثير من الأحيان واقعاً تحت وهم الاتصاف بها ، فيبدو مثيرا للضحك " (١)

وبعد أن بينا مفهوم السخرية سوف نحاول أن نفرق بين السخرية وغيرها من المفاهيم التى قد تقترب وتلتبس وتتداخل من هجاء وتهكم وفكاهة.

بين السخرية والهجاء :

واذا كان الهجاء هو سلب المهجو صفاته الحسنة بعداوة وقسوة وكانت " وظيفة الهاجي أن يهتم بسلب مهجوه صفاته الحسنة بعداوة وقسوة ناقماً حاقداً عليه " ولعل الوحشة والانقباض والنغمة والحقد والعداوة لعل هذه الأحوال جميعاً تتعقد فى نفس المشاعر وتتضاعف وتتطور وتتصهر بعضاً للبعض فى أعماق الوجدان وتصدر إلى الخارج بهجاء فيه كثير من الملامح المشوهة المنكرة التى ليست فى الواقع سوى تعبير مادي محسوس عن تلك الظلال الموحشة الغائرة فى أبعاد النفس"(٢)

وكانت السخرية تهتم بسلب من يسخر منه صفاته الحسنة الحميدة وتعيبه بكل ما تحاول أن تلصق به من نقائص بيد أن ظاهرة السخرية تختلف فى جوهرها عن فن الهجاء وإن كانت وليدة هذا الفن فالشاعر الساخر غير الشاعر الهاجي لأن :

---

(١) انظر السخرية فى أدب المازنى / حامد عبده الهوال ص ٣٥ – ٣٦ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م.

(٢) فن الهجاء وتطوره عند العرب / ايليا الحاوى ص ٧ ط دار الثقافة بيروت

الشاعر الساخر لأنه هازئ فهو متكبر بطبعه والهاجي قد يكـــون غير هذا .

والساخر فنان مطبوع طحنته الهموم وصقلتـــه التجـــارب بينمـــا الهاجي قد يكون متكلفا.

الساخر لا يعبأ بمن يسخر منه و لا يعبأ بمن يتكبر عليه وكيـــف يبالي بشخصه وهو يراه مثارا للتندر أو يكون عابئا بقـــدره وهـــو يـــراه موغلا في الضعة.

لكن الهاجي لابد أن يكون مبالياً بمن احتقه واثاره وألهب حفيظتـــه وأن يكون عابئا بمن أغاظه واشعل سريرته .

الساخر لا يبحث طويلاً عن العيوب لأنها مادة سهلة متيسرة لـــه فهو لا يحتاج إلا إلى كشف بسيط عن مكامنـــها أمـــا مجـــهوده الأكـــبر فمصروف في تشكيل وتدبيج صوره الهازلة الهازئة.

والهاجي باحث مجتهد مشغول الذهن مكدود الأعصاب وقد يكـــون ما يبحث عنه نادرا بين الندرة .

الشاعر الساخر فنان مخترع لا يخترع العيوب والنقـــائص وإنمـــا يخترع شكلها الفني وأسلوبها الهازئ فمجهوده في الاختراع مصـــــروف في الصياغة النادرة والطريقة الفريدة في تكبيره هـــذا العيـــب واظـــهاره للناس أو تصغير تلط الصفة، أو حشد صفات متناقضة ظاهرة الاختلاف.

والهاجى فنان مخترع يهتم بحشد اكبر عدد من العيوب والنقـــائص واختلاق أساليب وألفاظ السباب واللعان فمجهوده فى الاختراع يصرفـــه فى احصاء قدر اكبر من النقائص يهجم بها على هذا او يرد بها ذاك.

الساخر محترف يحاول أن يدهش الآذان وتلك الأنفس التى تنتظـــره لترفعه فوق نظرائه أو لتضعه فى الحضيض ساخرة من سخريته وهـــو يصدر فى عمله عن رغبة قوية في الإصلاح والكمال .

والهاجي إنسان يحس النقص فى طبعه ونفسه وهجائه صـــادر عـــن روح حانقة شريرة ورغبة شديدة فى التجريح والهدم .

وبذلك يتضح لنا أن السخرية ظـــاهرة تعبيريـــة لـــها مـــن الملامـــح والسمات ما يميزها عن كل من الفنون الشعرية وعن فن الهجاء بخاصـــة الذي يظن أكثر الباحثين اتفاقه معها.

بين السخرية والتهكم :

تداخل معنى كل من السخرية والتهكم على كثير من البـــاحثين[1] بناء علـــى

(١) انظر السخرية فىأدب المازنى / حامد عبدالهوال ص ١٦

- الفكاهة فى الأدب وأصولها وأنواعها / احمد الحوفى ص ٦٧ مكتبه نهضة مصر بالفجالة .سنة ١٩٥٦

- الاتجاه الساخر فى أدب الشدياق / محمد شوقى المعاملي ص ٧ ط النهضة المصرية سنة ١٩٨٨ .

المعجم المفصل فى الأدب / للتونجى جـ١ ص ٢٨٧ مادة تهكم .

- التهكم والسخرية فى الشعر الجاهلي / آمال ضرار ص ٢٤٩ بحث بحوليه كليه الدراسات بالإسكندرية العدد الرابع عشر ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م.

تقارب مدلولهما اللغوى فالسخرية من معانيها اللغوية الاستهزاء[1] والتهكم من معانيه أيضا الاستهزاء بيد أنهم لم يراعوا ما تدور حوله كل من مادة " هكم " و " سخر" من المعاني الآخرى وإلا لأدركوا أن هناك فروقا دقيقة بين كل من التهكم والسخرية .

فمادة " سخر" تدور فى اللغة حول معان الاستهزاء والإضحاك والإكراه بتكليف ما لا يطاق فالإضحاك مكمل للاستهزاء ومتمم له فى احداث القهر والإرغام والإكراه لمن تتوجه اليه السخرية على عمل ما هو صحيح [2].

أما مادة " هكم" في معاجم اللغة فتدور معانيها حول المقتحم على ما لايعنيه والمتعرض للناس بالشر والتكبر والتهدم من الغيط والحمق واشتداد الغضب – والتبختر بطراً والسيل الذى لا يطاق و الاستهزاء والطعن المدارك والوقوع فى القوم.

يقول صاحب لسان العرب فى مادة " هكم "

(التهكم) : المقتحم على ما لايعنيه الذى يتعرض للناس بشر .
(وقد تهكم على الأمر وتهكم بنا) زرى علينا وعبث بنا (والتهكم) التكبر (والمتهكم) المتكبر وهو ايضا الذى يتهدم عليك من الغيظ والحمق (وتهكم عليه) اذا اشتد غضبه . (والتهكم : التبختر بطرا و (التهكم) والسيل الذى لا يطاق و (التهكم) : تهور البئر وتهدمه. و (التهكم) : الطعن المدراك ، وتهكمت : تغنيت ,

(١) لسان العرب / مادة هكم ج ٦ ص ٤٦٨١.
(٢) انظر البحث مفهوم السخرية ص٥

و (التهكم) : الاستهزاء ومنه قول سكينة لهشام : " يـا أحـول ! لقـد أصبحت تتهكم بنا " والتهكم : حديث الرجل في نفسه .

يقول الشاعر :

يا من لقلب قد عصانى أنهمـــهْ
أُفهِمُهُ لو كان عنىَّ يُفهَمُـــــهْ
من ذكرَ لَيْلَى دلَّهم تهكمُّـــــــهْ
والدَّهْر يغتالُ الفتى ويعجُمُـــهْ

وقال (التهكم) : الوقوع فى القوم [1]

ويؤكد هذا صاحب أساس البلاغة قائلاً :

(هكم) – تهكمت البئر : تهدمت وتهكم عليه من شدة الغضب مثل تـهدم عليه ، وتهكم فلان على ما لايعنيه : اقتحم عليه ، وتهكم علينا : وتعـدى علينا ، قال :

تهكم عمرو على جارنـــــــا وألقى عليه كلكلاً

وتهكم به : تهزأ به [2]

ومعنى هذا أن إسلوب التهكم يكون الاستهزاء فيه مصاحباً لشـدة الغضب وللانفعالات المتقدة التي لا تطاق والمقصود منها الهدم أكثر مـن البناء ويكون مصاحباً لإثارة العواطف الكامنة أكثر من الاهتمـام بتعديـل مسارها.

(١) لسان العرب / لابن منظور ج ٦ ص ٤٦٨١ مادة هكم .

(٢) أساس البلاغة / للزمخشرى ص ٧٠٤ ط دار صادر بيروت.

بينما السخرية يكون الاستهزاء فيها مصاحباً للتؤدة وبعيداً عن الانفعالات المتأججة التى تقف حائلاً بين السخرية وبين أثرها الإيجابي الذي يتحقق عن طريق الإضحاك ووسائله الأخرى القائمة على التناقض والاختلاق والتي لا يتحقق تأثيرها إلا إذا كانت الانفعالات هادئة أي في مرحلة ما بعد الثورة وإن كان الساخر يعاني مرارة وآثار هذا الانفعال لكن المهم ألا يسيطر عليه هذا الانفعال لأن العقل هو المحرك للسخرية والمثير للإضحاك [1] وهو الذي يمدها بما تتسم به من حيوية دائمة ومتدفقه لأن مصدرها الذكاء والحس المرهف والإدراك الحاد الذى يدعو إلى الضحك حتى ولو كان هذا الضحك ضحك باكي مُرّ.

فالتهكم وليد لحظة الغضب وشدته ونفسية المتهكم تسيطر عليها شدة الانفعالات مما يقف حائلاً بينه وبين الإضحاك أو تحقيق أى هدف بناء فهو ينتج حالة وجدانية وشعورية شديدة أليمة لا تتفق مع الجو الذى تقصد إليه السخرية .

ولذا كان التهكم ذا هدف سلبى مبنى على التنفيث عن الأحقاد وتغلب على المتهكم ومحاولة المشاعر الذاتية ومحاولة النيل من المتهكم منه أكثر من محاولة تعديل مساره وسلوكه .

أما السخرية : فذا هدف ايجابي يتجاوز الانفعالات الذاتية إلى التمعن فى التكوين الإنساني والقيم الخلقية والاجتماعية والسياسية المهدرة والمعوجة والتنويه إليها بأسلوب بعيد عن الانفعال فى محاولة لتعديل مسارها بأسلوب سهل واضح يدعو إلى التفكير فى جوٍّ يغلب عليه المرح

(١) الضحك / هنري برجسون ترجمة سامي الدروبى وعبد الله عبد الدايم ص ١٤ ج ١ مصر ١٩٤٨

حتى لو لم يضحك أو كان ضحكه ضحكا مريرا أقرب للبكاء وهـــذا مـــا تؤكده المعاني التى تدور حول المادتين [1].

وبهذا يتضح لنا ان كلا من السخرية والتهكم يختلفان فى طبيعـــة كل منهما وفى الهدف والغاية التي يرميان إليها.

➢ بين السخرية والفكاهة :

إذا كانت السخرية قد تشيع جوا من المرح أو الضحك والفكاهـــة تدعو وتهدف إلى المرح والإضحاك فما الفرق بين السخرية والفكاهـــة ؟ وما هى أوجه الاتفاق والاختلاف بين كل منهما سؤال قد يلح على البعض ويفرض علينا أن نتناوله ليكون معنى السخرية واضحا فى الأذهان .

الفكاهة : تثير الضحك وتهدف إلى الإضحاك عن طريق عرض كل مـن الجانب الإيجابي والجانب السلبي الذى لا يصاحبه أى رفـض فالإضحاك فيها غاية وهدف وإن كانت تحقـق المزيـد مـن الانسجام والالفة.

أما السخرية : فالإضحاك فيها أحد الوسائل وليس غاية لأنها تهدف الـــى التغيير وتعديل المسار من خلال المبالغة فـــى عـــرض تلـــك السلبيات والإضحاك منها أو عن طريق عرض المتناقضـــات وتسليط الضوء عليها .

الفكاهة : تعرض الجانب الإيجابي والجانب الســـلبي الـــذى يثـــير الضحك لأنه الغاية.

---

(١) انظر البحث : مفهوم السخرية ص ٥ وبين السخرية والتهكم ص ٩

أما السخرية : فلا تعرض إلا الجانب السلبي لأنها تهدف الى التغيير وتعديل المسار .

الفكاهة : يصاحبها شعور بالرضا والسلام النفسي .

أما السخرية : فيصاحبها شعور بالرفض والتمرد والثورة وعدم الرضا النفسي.

الفكاهة : دائما تكون مثيرة للضحك والمرح والابتسام .

بينما السخرية : ليست مثيرة للضحك فى كل أحوالها لأن السخرية قد تحمل مظاهر الاستخفاف التى تقوم مقام اشد الضحكات لأن الساخر يعاني احساسا بالمرارة.

وبعد أن اتضح لنا مفهوم السخرية من خلال التفريق بينها وبين غيرها من الفنون التي قد يظن التباسها بها سوف نتناول السخرية فى شعر الطيب المتنبي، بعد أن لح علينا سؤال عن ما هو الباعث والدافع لظهور السخرية فى شعر أبى الطيب المتنبي.

دوافع السخرية فى شعر أبى الطيب المتنبي :

واذا كان من الطبيعى ان لكل ظاهرة من الظواهر أسبابها وبواعثها [١] ومثيراتها[٢] التى تؤدى إلى ظهورها فقد اجتمعت لأبى الطيب المتنبي العديد من الدوافع [٣] التي أدت إلى ظهور هذا الاتجاه الساخر في فنه الشعري.

---

(١) الباعث : هو القوى التى تحرك السلوك عندما تكون من خارج الكائن الحي بينما :

(٢) المثير : هو القوة التى تحرك السلوك عندما تكون نابعة من داخل الكائن الحي – انظر مبادئ علم النفس العام / يوسف مراد ص ٤٤ ط دار المعارف القاهرة ط ٨ سنة ١٩٨٢.

(٣) الدافع : هو القوى التى تحرك الكائن الحى وتجعله ينشط لإصدار سلسلة من الأساليب السلوكية بحيث تتجه لتحقيق هدف معين سواء كانت هذه القوة داخلية (المثير) او خارجية (الباعث) أو هما معاً فالدافع اذن يشمل كل من الباعث والمثير .

ويعد التناقض بمستوياته العديدة والمختلفة وشدة الإحساس به الدافع الأساسي للسخرية إذا انضمت إليه نفس ثائرة حساسة مرهفة محبه للحياة راغبة فى الصراع من أجلها تشعر بذاتها وقدراتها واجهت العديد من الإحباطات التي أدّت الى درجة عالية من الشفافية وسرعة الاستجابة.

وقد عاش شاعرنا هذا التناقض بمستوياته المختلفة فى اطار بيئته الخاصة المتمثلة في نشأته وأسرته وفى اطار بيئته العامة التى يمثلها عصره ومتناقضاته .

ففى إطار بيئته الخاصة :

ولد أبو الطيب المتنبى " احمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفى عام ثلاثة وثلثمائة (٣٠٣هـ) من الهجرة فى محلة " كندة " بالكوفة من أسرة كريمة فهو عربي صليبة لأنه جعفي الأصل وجدته لوالدته همدانية الأصل ومن فضليات أهل الكوفة وهي التى تولت تربيته ورعايته بعد أن فقد أمهً وهو صغير ثم فقد بعد ذلك والده فى الفترة الأخيرة من طفولته.

فنشأ في أسرة كريمة وإن كان يعيش عيشة متواضعة[1] خاصة بعد فقده لوالده عائل الأسرة فإذا هو يشعر فى طفولته بهذا الاختلاف

- انظر علم النفس التربوي / نخبة من علماء النفس والتربية ٢٣٤ – ٢٣٦ ط سنة ١٩٨٩ – ١٩٩٠
- دراسات فى علم النفس / حامد عبد القادر مط النموذجيه بالحلمية لسنة ١٣٦٧ هـ سنة ١٩٥٤ م

(١) انظر المنتظم / لابن الجوزى ١٤/١ – ٥ ط حيدر آباد سنة ١٣٥٧ هـ

- وفيات الأعيان / لابن خلكان جـ١ ص ١٢٠ ت إحسان عباس ط الثقافة بيروت
- يتمية الدهر / للثعالبي ج١/ ١١٢ ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٧٩ ؟
- الوافى بالوفيات / للصفدى ج ٢ : ٣٣٦ ط ٢ فرانز شتاينتر بفيبادن سنة ١٩٨١
- تاريخ بغداد للخطيب / ج ٤ ص ١٠٣ ط دار الكتب العلمية بيروت .
- خزانة الأدب / للبغدادي ت عبد السلام هارون ج ٢ ص ٣٤٧ ط مكتبه الخانجي بالقاهرة .

والتناقض بينه وبين غيره من الأطفال فلكل طفل والدين وهو قد فقدهما، كما أن هناك العديد من الأفراد ليسوا من اسر كريمة وعريقة كأسرته ولكنهم يعيشون فى مستوى مادى مرتفع وان كانوا لا يتمتعون بمثل ذكائه وقدراته وفهمه للعلم وقوة شكيمته وخاصة بعد فقده لعائله الوحيد فى هذه الحياة ومع ذلك هم لا يعانون مثل ما يعانى مما عمق شعوره بالتناقض وأبرز إحساسه بذاته واعتزازه بها بصورة واضحة منذ صباه . يظهر ذلك من خلال فخره بنفسه فى شعر الصبا إذ يقول :

لا بقومي شَرُفت بل شرفوا بـــى وبِنَفْسى فَخَرْتُ لا بِجُدُودِي

وبهم فخرُ كلِّ من نطق الضـــا دَ وعَوْذ الجاني وغَوْثُ الطريدِ[1]

وقد عمق الإحساس بالتناقض نشأته فى الكوفة تلك البلدة التى كانت تشتعل بغارات القراطمة[2] وبهجماتهم المتتالية وسلبهم وقتلهم لأهلها

- شذرات الدهب / لابن عماد الحنبلي ٣ / ١٣ ت لجنة احياء التراث ط دار الافاق – بيروت .
- الأعلام / للزركلي ١ / ١٥ ط دار العلم للملايين بيروت ط ٧ لسنة ١٩٨٦
- رساله الغفران / لأبى العلاء المعري ت عائشة عبد الرحمن ص ٢٨ ط ٧ دار المعارف القاهرة سنة ١٩٧٧
- فصول فى الشعر ونقده / لشوقى ضيف ص ٤٧ ط الثانية ط دار المعارف مصر .
- رائد الدراسة عن المتنبى / كوركيس عواد وميخائيل عواد ط وزارة الثقافة والفنون العراقية نشر دار الرشيد سنة ١٩٧٩.

(١) شرح ديوان المتنبى / للبرقوقى ٢ / ٤٦ – ٤٧ ط دار الكتاب العربى بيروت لبنان ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م.

(٢) القرامطة : هم جماعة تنتسب بالباطل إلى الإسماعيلية وتدعو إلى العنف وتهدر جميع القيم الإسلامية والإسماعيلية أحد جماعات الشيعة الفاطمين الذين كان رأسهم إسماعيل بن جعفر الصادق وإن كانت فى الحقيقة خارجة على مبادئ الإسماعيلية ومتعارضة معها مثل القول بالتناسخ (١) ومن القول بحياة إسماعيل بن جعفر الصادق رأس الإسماعيلية (٢)، والقول بحياة إسماعيل واستتاره وعودته الى الأرض ليهدى الناس بعد كفرهم وضلالهم (٣) وقد استباح القرامطة فى سبيل اقرار مذهبهم كل محرم ، وعبثوا بكل قاعدة فى المعتقد حتى برأ منهم الإسماعيليون (٤) فقد احلوا

وعدم استطاعة حكامها أن التصدي لهم فإذا بإحساسه بالتناقض يولد لديه الثورة. الثورة على الحكام الذين لا يستطيعون السيطرة على أملاكهم ولا حفظ الأمن لرعيتهم وحمايتهم .

والثورة على هؤلاء الناس الذين رضوا بهؤلاء الحكام ورضخوا لغارات القرامطة والثورة على الظلم الاجتماعي الذي عايشه وعلى القيم الفاسدة من الجهل والسلب والنهب والقتل والجبن والذل ورفضه إياها. وإذا بثورته تتعدى هذه الأوضاع إلى الثورة على نفسه وتدعوه إلى التمرد على نفسه وإظهار عدم رضاه عن نفسه على الرغم من صغر سنه " فيتحرق شوقا إلى الشباب الذي يمنحه القوة وإلى الظروف التي تتيح له خوض غمار الحرب"[1] فإذا هو يثور على الصبية الذين هم فى مثل سنه الذين يعنون بوفرتهم وتنسيق شعورهم أكثر مما يعنون بحياة الخشونة والإقدام والحرب أليس إذ يقول فى صباه :

=الخمر ولم يوجبوا الغسل من الجنابة وغيروا هيئة الصلاة وطقوسها واستقبلوا فيها بيت المقدس وصبلوا الجمعة يوم الأثنين واعتبروا أن الصوم هو السكوت عن افشاء سرهم (٥) فضلا عن إباحة كل ما حرمه الإسلام من الأنفس والأعراض والأموال فقالوا بشيوع الأموال والنساء(٦).

- مصر الفاطمية / محمد كامل حسين ١٤-١٥ ط دار الفكر العربى سنة ١٩٥٠
- الفصل فى الأهواء والملل لابن حزم ج ١٨٤٤
- كشف أسرار الباطنية وإخبار القراطمة / محمد بن مالك اليمانى ص ٢١ ط الأنوار سنة ١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٩ م
- الملل والنحل / للشهرستاني سنة ٤٢١
- تاريخ ابن خلدون/ ٣ / ٣٣٦ دار العودة بيروت ١٩٧١
- فى أدب مصر الفاطمية د/ محمد كامل حسين ص ١٦
- كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ١٥

(١) مع المتنبى د/ طه حسين ٣٩ ط ٤ ط دار المعارف

لا تحسن الوَفْرَةُ حتى تُرَى ... منشورَةً الضفرين يوم القتال
على فتىً مُعتقلٍ صعدةً ... يُعلُّها من كلِ وافي السبال [1]

والقائل ثائراً على نفسه رافضاً للذل والخنوع الذى يعيشه سائر أهل بلدته

إلى أى حين أنتْ في زىٍّ مُحْرِم ... وحتى متى فى شِقْوةٍ وإلى كم ؟
وإلا تَمُتْ تحت السيوف مُكرَّ ماً ... تَمُتْ وتقاس الذُّل غير مُكرَّمٍ [2]

ويزداد هذا التناقض والإحساس بالغربة والثورة والتمرد مع كل مرحلة من مراحل حياة المتنبي التي امتلأت بالإحباطات التى زادت من حساسيته .

ففى مقتبل حياته :

يثور على الحكام ويخرج على لؤلؤة عامل الأخشيدين على حمص وعند مواجهته للحاكم ينفض من حوله اتباعه ويتركوه وحيدا ليقع فى براسن لؤلؤة والى حمص الذي يزج به فى السجن عام أربعة وعشرين وثلثمائة هجرية ٣٢٤هـ.[3]

ويخرج من سجنه وهو ساخط على أهل عصره وعلى ضعفهم وخنوعهم وعدم صمودهم ووفائهم .

---

(١)شرح ديوان المتنبى / للبرقوقي جـ ٣ص ٢٧٩

(٢) المرجع السابق / ج ٤ ص ١٥٠

(٣) انظر شرح ديوان ابن جنى (الفسر) / ص ٩٩- اللامع العزيزى لأبى العلاء المعري ص ٦٨

ويظل أبو الطيب خمسة عشر عاما دائم الترحال فى ديار الشام ما بين اللاذقية وحلب وطبرية ومنبج وانطاكية وطرابلس ودمشق والرملة وجرش وطرسوس .

يقضى اثنا عشر عاما منهم لا يثاب على شعره إلا بالدينار والعشر وقد زادته هذه الفترة اعتراكا للحياة، وعمقت احساسه بالتناقض والثورة فهو لم يجد عند اتصاله الوثيق بالولاة والأشراف إلا أُناسا لا يهتمون إلا بملذاتهم وشهواتهم ولا يفكرون فيما هو أبعد من موضع قدمهم ومع ذلك يتمتعون بالثروة والجاه والنفوذ وهو مع ما في نفسه من إقدام وشجاعة وطموح إلى المعالي لا يكاد يجد ما يسد به رمقه .

وبالرغم من تلك الإحباطات المتوالية لم تسطع أن تنال من نفس شاعرنا ولا أن تهزّ ثقته فى نفسه بل على العكس من هذا فقد زادت من إحساسه بذاته وقوت شكيمته وعمقت إحساسه بالتناقض وزادت من ثورته وطموحه وأليس هو القائل فى مدحه (على بن احمد بن عامر الأنطاكي)[1]

أطاعِنُ خيلا من فوارسِها الدَّهْرُ ... وَجِيْداً وَمَا قولي كذا ومعي الصَّبْرُ ؟
تُمُرَّسْتُ بالآفَاتِ حتَّى تركْتُهَا ... تقُولُ: أماتَ المَوْتُ أم ذعَرَ الذُعرُ؟
فلاَ تحْسَبَنَّ المَجْدَ زقاً وقينَةً ... فمَا المَجدُ الاَّ السَّبقُ والفتكة البكْرُ
وتضْرِيبُ أعناقِ الملُوكِ وأنْ تَرَىَ ... لكَ الَّهَبواتُ السُّودُ والعسْكَر المَجْرُ[2]
وَتَرْكُك فِى الدُّنيا دَوِيّاً كأنَّمَا ... تدَاوَلَ سَمْعَ المرْءِ أنْمُلُهُ العشْرُ

(١) شرح ديوان المتنبي / ج٢ ص ٢٥٢ الى ص ٢٦٢

(٢) الهبوات السود : الغبار العظيم الأسود الذى تثيره الخيل بحوافيرها لدى الطعان - ال المجر : الجيش والنزال الكثير

عَلَيَّ لأهلِ الْجَوْرِ كُلِّ طِمِـــــرةٍ عليْها غُلامٌ مُلءُ خيزُومِه وغمْرُ[1]
وكَمْ منْ جِبال جُبْتُ تشْهدُ أنَّنِي الـــ جبالُ وبَحْرٍ شاهِدٌ أنني الْبَحْـــرُ
وَجَنَّبنِي قُرْبُ السَلاطِينِ مَقْتَهُـــا وَمَا يَقْتَضِينِي مِن جَمَاجِمِهَا النَّسْر[2]

ويتصل أبو الطيب المتنبي بابن طغج ابن أخي الأخشـــيد ووالیـــه على الرملة عام (٣٣٦هـــ) فيضحك له القدر بعد اثني عشر عاما عندمـــا أنشده قصيدته التى مطلعها :

أنَا لائِمِي إنْ كُنْتُ وُقْتَ اللَّوائِمِ عَلِمتُ ما بِي من بُيْنُ تِلْكَ الْمَعَالِمِ

حيث كانت أول قصيدة يُثاب بها ألف دينار وقد قال المتنبي عنها: " إنها أول شعر قلته وابيضت أيامي بعده " [3]

ويبدو أن الشاعر قد بدأت نفسه تهدأ خاصة بعد ما بلغه من نباهـــة وشهرة خاصة بعد نزوله إنطاكية واتصاله بأبى العشائر الحمدانـــي الـــذي كان السبب الرئيسي لاتصاله بسيف الدولة أثناء عودته إلى إنطاكية أثـــر ظفره بحصن برزويه عام (٣٣٧هـــ) والذى اصرَّ على اصطحابه إلـــى حلب.

وتضحك الحياة لأبى الطيب المتنبي ويجد فـــي ســـيف الدولـــة الحمداني الفارس العربي المقدام والحاكم الشجاع الذى كان يبحـــث عنـــه ويطوق اليه فإذا هو صنوه، وظل فى كنفه قرابة تسع سنوات تعـــد أســـعد

(١) الجور : الظلم ، والطمرة الفرس الوثابة نشاطا ومراحا والخيروم : الصدر والغمر : الحق
(٢) يقتضينى : يطالبنى .
(٣) خزانة الأدب / للبغدادي ج ٢ ص ٣٥٠ تحقيق وشرح عبد السلام هارون ط دار الكتاب العربـــى سنة ١٩٦٨

أيام حياته وإن تخللها العديد من الزوابع فقد أدرك فيها شاعرنا الفارق الكبير بين هذا الفارس المغوار وغيره من الملوك الضعفاء الذين مر بهم وأحس بعمق التناقض بينه وبينهم ، لكن سرعان ما تنتهي علاقة المتنبي بسيف الدولة بالقطيعة بعد أن أحس المتنبي بتغير سيف الدولة وشعوره بالإهانة فى مجلسه فيفارقه مغاضبا له بعد أن صدم فيه.

ليبدأ رحلة شقاء جديدة يتعرف فيها المتنبي على بقعة هامة من بقاع العالم الإسلامى ونوع غريب من الحكام بعد أن دفعه غضبه من سيف الدولة وثورته عليه ورفضه لقبول الإهانة حتى من أحب الناس إليه إلى اللجوء الى مصر حيث يتولى شئونها كافور الأخشيدي[1].

هذا العبد الأسود الخصي الذي يغلب عليه المكر والدهاء والذى يراه لا يزينه أدب ولا نسب بعد أن أغراه كافور وألمح له بولاية من ولايات مصر والشام ووجد المتنبى في تلك الولاية تحقيق لطموحه ولهدف كان قد يأس منه وأراد به أن يطاول سيف الدولة ويثبت له أنه لا يقل عنه مكانة ولعله كان يأمل أن يصل من خلال هذه الولاية إلى قيام

---

(١) وكافور هذا كان فى خدمة الأخشيد حاكم مصر الذى توفى عام ٣٣٤ هـ(١) وترك ولديه " أنوجور " وعلى فى وصايته لأن ابنه الأكبر انور جور كان وقت ذاك لم يتجاوز الرابعة عشر من عمره فإذا هو يستأثر بحكم مصر (٢) حتى بعد انتهاء الوصاية على أنور جور حيث استبعده واستأثر بالحكم اربعه عشر عاما الى ان توفى وهو فى الثامنه والعشرين من عمره فولى اخاه على وظل وصيا عليه ومستبدا بالحكم لمدة خمس سنوات هي مدة ولايته حتى توفي في مثل عمر أخيه (٣) ثم استأثر كافور بالحكم ونزع الحكم من وريث الأخشيدين أحمد بن على بن الاخشيد عام٣٥٣ فإذا هو يحكم مصر حتى توفى عام ٣٥٧ هـ لمدة اثنتى وعشرين عاما (٤) .

- النجوم الزاهرة / لابن تغري بردي ج ٣ ص ٢٥٦ ط دار الكتب سلسلة تراثنا .
- تجارب الأمم / لابن مسكويه ج ١ ص ١٥٤ ط التمدن الصناعية
- ولاة مصر / محمد بن يوسف الكندي ص ٣١٣ تحقيق د حسين نصار ط دار صادر بيروت سنة ١٩٥٩
- النجوم الزاهرة / جـ٤ ص ١٠.

دولة إسلامية عربية ولكن كافور لم ينجز وعده فزاد الصراع بينه وبين كافور خاصة بعد إدراك كافور لتعالي المتنبي واستخفافه به، وازداد هذا الصراع بتحديد كافور لإقامته ومنعه من مغادرة البلاد فإذا هو شاعرنا يأكله الحزن والألم ويصدمه الإخفاق والواقع الذي يعيشه فيحاول الثورة عليه والرفض له والتخلص منه، ويعمق شعوره بالتناقض وعبثية الحياة والسخط عليها وعلى الزمان والأحياء خاصة بعد اتصاله بفاتك المجنون وتعلقه بهذا السيد الذي يراه جدير بالاحترام، وصدمته لوفاته فجأة، وبقاء من هو مثل كافور هذا العبد الأسود الخسيس.

فيقول راثياً فاتكاً وساخراً من كافور [1]

أيَمُوتُ مِثْلُ أبى شُجاعٍ فاتِكٌ ... ويَعِيشُ حاسِدُهُ الخَصِيُّ الأْوكَعُ

أَيَدٌ مُقطَّعَةٌ حَوالىَّ رأسه ... وقفاً يَصيحُ بها ألاَ منْ يَصْفعُ

أبَقَيْتَ أكْذَبُ كاذب أبقَيْتَهُ ... وَأَخذتَ أصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ

وتَركتَ أنْتَنُ رِيحة مذْمُومةٍ ... وسلَبتَ أطْيبَ رِيحةٍ تَتَضوَّعُ

ويزداد احساسه بالقهر ويزداد رفضه لأن يقيم مع مثل هذا العبد " الأضحوكة " الذى يزدريه، خاصة بعد يأسه من كافور وفقده لصديقه الوحيد فى مصر فيخرج هاربا من مصر عام "٣٥٠هـ ".

ويخرج أبو الطيب المتنبي من مصر شاعرا بالضياع وشدة الإحباط ومحملاً بالعديد من التجارب المعتمة فَقَدَ فاتكاً وترك صنوه مغاضبا له ومحاولا أن يثبت له أنه لا يقل عنه منزلة وإذا كان الفارق بينهما هو الولاية فهو جدير بإحرازها بشاعريته الفياضة فإذا هو يجر أذيال الخيبة والندم على لجوئه لمثل هذا العبد الخسيس وإن كان بروح

(١) شرح ديوان المتنبي / للبرقوقى ج ٣ ص ١٩ - الأوكع : الاحمق أو اللئيم

التحدي والإباء استطاع أن ينال من كافور بهروبه منه وقـــهره لإرادتـــه وسخريته منه ورفضه له .

ويرجع إلى العراق حيث الكوفة مسقط رأسه ليلمم شـــتات نفســـه التي تقتلها الغربة النفسية ويمزقها الاحباط ويحاول سيف الدولة مراســـلة شاعرنا وإعادة العلاقة ولكن شموخ المتنبي واعتزازه بنفسه يجعله يـــأبى أن يعود إلى صنوه مشتت النفس شاعرا بالإخفاق والضعف فيعتـــذر لـــه ويؤجل لقاءه على أمل أن يحقق شيئا مما يرومه من المجد ويقضي ثـــلاث سنوات بين الكوفة والعراق يعانى الغربة النفسية، ويذهب ليمـــدح عضـــد الدولة فى " شيراز" فيقتل أثناء عودته عام " ٣٥٣ هـــ " ويعد مقتله تحديـــا لقطاع الطرق ورفضا للخنوع والضعف والجبن وإصرارا على الاعتـــداد بالنفس حتى في أحلك مواقف الحياة .

وهكذا ظل أبو الطيب المتنبي حتى أخر رمق فى حياته تشـــتعل بداخله روح التحدي والثورة التي تشعرنا بمدى إقباله على هـــذه الحيـــاة وحبه لها وخوضه لغمارها مع شدة رفضه لسلبياتها وإدراكـــه لتناقضـــها وعبثيتها .

وبذلك تضافرت مراحل حياة المتنبي وبيئته الخاصة على تعميـــق إحساسه بالتناقض الذى حرك ثورته الكامنة فى طبيعـــة شـــخصيته وزاد تعاليه على الإحباطات المتولية التي تعرض لها من حساســـيته واعـــتزاز بنفسه وسخره من تناقض الحياة والأحياء وســـلبياتهم خاصـــة وأن بيئتـــه العامة قد تضافرت مع بيئته الخاصة على تعميق إحساسه بالتناقض الـــذى حرك لديه السخرية.

وفى إطار بيئته العامة :
وظروف عصره

نجد أن أبا الطيب المتنبي قد عاش في النصف الأول من القـــرن الرابع الهجري في عصر وفترة زمنية تمـــوج بالاضطرابـــات السياســية والدينية والتمزق الاجتماعى فـــهو عصـــر الثـــورات والفتـــن والقلائـــل والاضطرابات.

عصرٌ فُقِدَ فيه " المثل الأعلى " للخليفة المسلم الذى أصبح ليس لـه إلا اللقلب " فهو لا يملك من أمره هو شيئاً " [١] لا من أمر الرعية يتكـالب على اللهو والمتع، فذاته هى شاغله الأول والأخير، يُصـــارعُ مـــن أجـــل الخلافة الاسمية وقد يتأمر على أخيـــه، وفـــى ســـبيلها لا يتـــورع عـــن اغتياله.[٢]

وهو إذا حصل على الخلافة فـــهو القلـــق المضطـــرب الخـــائف المذعور عليها فإذا كان هذا حال الخليفة فكيف يكون حال الرعية !

هذه الصورة المهتزة للخليفة كانت تسيطر عليها وتحركها ســـلطة الترك التي ازدادت في هذا القرن بعد أن تولوا قيادة الجيـــش والمنـــاصب العليا فى الدولة الإسلامية فى عهد الخليفة المعتصم [٣] حتى غدت سلطتهم تمتد إلى الخليفة فتعزله وتنصب آخر ، فأصبح الخليفة قطعـــــة شـــطرنج

---

(١) تجارب الأمم / مسكويه ج٢ ص ٧٥ انظر أحداث سنة ٣٣٣هـ ط التمدن الصناعية د.ت
الحضارة الإسلامية / لأدم متز ج١ ص ٧ ترجمه محمد عبد الهادي أبو ريده ط لجنة التـــأليف والترجمة والنشر .

(٢) انظر الكامل / لابن الأثير ج ٨ ص ٤

(٣) تاريخ الطبري / ج ١٢ ص ١٣ ط المطبعة الأزهرية لسنة ١٣٥١ هـ

يحركها الأتراك أنى شاءوا بعد ان كانت السيطرة للعرب وللخليفة المسلم العربي وكان لا يسمح لغير العرب بتقلد المناصب الكبرى والحساسة.

وكان ضعف الخليفة وضياع هيبته سببا لازدياد نفوذ الترك وسببا لتدخل نساء القصر فى شئون الحكم حتى اصبحن يولين من يشأن ويعزلن من يشأن من المناصب العليا[١]

ونتيجة لهذا الضعف والانهيار الذى داهم البلاد بسبب ضعف الخليفة وتوزع السلطات على من حوله من الأتراك والخدم ونساء القصر بدء عمال الأقاليم يطمعون فيها شيئا فشيئا فاستحوذوا على إماراتها، وسلبوا أموالها وكونوا دويلات داخل الدولة الواحدة سرعان ما انفصلوا بها عن الدولة الإسلامية التى تمزّقت من المشرق إلى أقصى المغرب إلى دويلات ، يحاول كل منهم أن يثب على مقاطعة زميله ، حتى وصل الأمر إلى الاستيلاء على " بغداد" مركز الخلافة الإسلامية فأصبحت فارس فى يد بن بويه[٢] والرى وأصبهان والجبل في يد أخيه الحسن بن بويه (٣٢٠ — ٤٤٧) وديار بكر وربيعة ومضر والموصل فى أيدى بني حمدان (٣١٧ — ٣٨٩هـ) ومصر والشام من يد الأخشيد والأندلس فى يد عبد الرحمن الأموي وخرسان والبلاد الشرقية فى يد أل إسحاق [٣] والبصرة فى يد ابن الرائق [٤] وإفريقيا والمغرب فى يد الفاطميين والبحرين وحجر واليمامة بيد القرامطة وطبرستان وجرجان فى يد الديلم،

---

(١) مروج الذهب / للمسعودي تحقيق محي الدين عبد الحميد ج ٨ ص ١٠٦ ط القاهرة لسنة ١٩٦٧ نشر دار الكاتب اللبناني بيروت

= التنبيه والأشراف / للمسعودي ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ منشورات دار مكتبة الجلال بيروت لسنة ١٩٨٩.

(٢) انظر الفخري فى الآداب السلطانية / لابن طباطبا ط التجارية لسنة ١٩٢٧م

(٣) الكامل / لابن الأثير ج ٨ / ١١٢

(٤) المختصر / لأبي الفداء ج٢ / ٨٤ ط المطبعة الحسينية.

وخوزستان في يد البريدى ، ولم يبق للخليفة غير اسم بغداد أما الحقيقة فكانت بغداد تحت يد سلطان ابن الرائق.

ولم يكن الإنقسام إلى ولايات هو الأثر الأوحد الذى غرسه ضياع هيبة الخلافة ولكن كان الفساد الداخلي هو المرض الحقيقي الذي يسري فى كيان الدولة العباسية فى هذه الفترة .

وطبيعى أن يقضي ضعف وسفه الخلفاء على هيبة الخلافة ويؤدي الي فساد الحكم وانتشار الرشوة بين عمال الولاة والأقاليم والوزراء ويعم الاختلاس ولعل أكبر دليل على ذلك كثرة المصادرات لأموال الوزراء والكتاب[1] وكان أكثر جباه الضرائب وعمال الخراج ينهبون أصحاب الضياع ويعذبونهم ليستولوا على أموالهم فما بال من هم أدنى من أصحاب الضياع والذين يمثلون سائر الرعية وما يعانوه من قهر.

وأن يعم الفساد والظلم الاجتماعي المجتمع بأسره وتهتز القيم والمبادئ التي تحكمه وتسود الفوضى الناتجة عن اهتزاز القيم والاستهانة بها .

ولقد زاد الإحساس بهذا الظلم والفساد الاجتماعي انتشار الثقافة وتغلغلها فى جميع الطبقات فى عصر نضجت فيه الحضارة الإسلامية

(١) انظر تاريخ الطبرى / ج ٩ / ١٥٠ ، ص ١٩٧

- مروج الذهب / للمسعودي ج ٤ / ١٤ - ١٩

- النجوم الزاهرة / لابن تغري بوردي ج ٣ ص ٤٠ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة

واستكملت قوتها وأخذت تؤتي ثمارها في كل فـــرع مـــن فـــروع العلـــم والفلسفة والأدب [١]

فنشبت واشتعلت الثورات الداخلية المختلفة وهونت الثقافـــة علـــى الناس تبعات هذه الثورات وأخذت تفتق لهم الحيل التي تســـاعدهم علـــى الثورة ، استجابة لغرائزهم المظلومة ونفوسهم المقـــهورة فـــإذا بثـــورات العرب وثورات الشعوبية وثورات القرامطة[٢] التى مزقت كيان الدولـــة الإسلامية وقوضت أركانـــها – وهـــزت ودهـــورت اقتصادهـــا وزادت الفوضى في ربوعها.

والخليفة غارق فى لهوه لا يدري من أمر الدولة شيئا والثـــورات الداخلية تأكل فى كيان الدولة من الداخل والروم يهددون اطراف الدولـــة الشمالية ويقومون بالغارات المتكررة على أطرافـــها الشـــمالية محـــاولين إسقاط مدينة إثر مدينة ولولا تصدي الحمدانيين لتلك الغارات لتوغل الروم فى أعماق الدولة الإسلامية وقضوا عليها.

كما اتسمت تلك الفترة التى عاش فيها المتنبي بالضعف السياســـي والإنحلال الخلقي والاجتمـــاعي بأشـــكاله المختلفـــة [٣] كذلـــك اتســـمت

---

(١) انظر الحضارة الإسلامية / لآدم متز ترجمه محمد عبد الهادى أبو ريده ط لجنة الترجمة والتأليف والنشر ١٩٤٧م.

= ظهر الإسلام / لأحمد امين ط لجنة التأليف والترجمه والنشر لسنة ١٩٩٢ نشر مكتبه نهضـــة مصر

= انظر ومع المتنبى / لطه حسين ص ٢٩ – ٣٠ ط ١٢ دار المعارف لسنة ١٩٨٠

(٢) انظر زهر الآداب للحصرى / تحقيق محمد البجاوى ج ٣ ص ١٩٤ ط دار إحياء الكتب العربيـــة ١٩٧٢م.

(٣) انظر فصول فى الشعر ونقده / شوقي ضيف ص ٨١ ط ١ دار المعارف بالقـــاهرة – العصـــر العباسى الثانى / لشوقى ضيف ص ٩١

بالصراعات الدينية بين المذاهب الإسلامية المختلفة من سنة وشيعة وخوارج ومعتزلة وإمامية وإثنا عشرية وأباضية وإسماعيلية وبين المذاهب الفقهية المختلفة بين مالكية وحنابلة وبين الشافعية والحنفية [١] ومع هذا الصراع اشتد تيار الإلحاد والزندقة[٢]. وكثرت دعاوى النبوة [٣] خاصة فى هذا العصر الذى عج بكثرة الملل والنحل والديانات وظهر التصوف كتيار مضاد للمجون والإلحاد والزندقة .

ومن أن يتبع هذا الإضطراب والتناقض والضعف والتدهور السياسي والاقتصادي والديني انهيار للقيم الأخلاقية وسيادة لروح السخط والتفكك والقلق والإضطراب ومحاولات دائبة للهروب من هذا بالإنغماس فى الشهوات والمجون بأشكاله المختلفة أو بالإعتزال والزهد والتصوف.

وبذلك تكاتفت بيئتا المتنبي الخاصة والعامة المتمثلة فى ظروف عصره والمترعة بالاضطراب والتناقض مع شخصيته القوية الثائرة المحبة للحياة والتواقة إليها إلى ظهور الاتجاه الساخرفي فنه الشعري ليحدث توازنا وتكيفا نفسيا يمكنه من الاستمرار فى الحياة خاصة مع تعاليه واستهانته بالإحباطات المتوالية التى قابلته فى حياته وبيئته الخاصة والعامة .

---

(١) ظهر الإسلام / أحمد أمين ج ١ ص ١٧٤ وما يليها

(٢) أنظر تاريخ الإلحاد فى الاسلام / عبد الرحمن بدوى نشر مكتبة النهضة العربية المصرية .

(٣) أنظر المختصر فى أخبار البشر / لأبي الفداء ص ١٨ ط دار الثقافه للطباعة والنشر بيروت .
الكامل / لابن الأثير ص ٢٤٠ ، ٢٨١ المجلد السادس ط دار الفكر بيروت لسنة ١٩٧٨ م ، ١٣٩٨ هـ

البداية والنهاية / لابن كثير ج ١١ / ١١٢ ، ٢٤٣ المجلد السادس ط دار الفكر العربى بيروت.

وليرسل مهام سخريته الصائبة إلى هذا الزمان وأهلـــه وساســته لتكشف أدواءهم وتسلط الضوء على نقـــاط ضعفـــهم معدلـــة لســـلوكهم ومسارهم.

الإتجاه الساخر فى شعر أبي الطيب المتنبي :

ظهر الاتجاه الساخر فى شعر أبى الطيب المتنبي منذ صباه وامتـد ليشمل مراحل حياته المختلفة فلم يك الاتجاه الساخر وليد وجوده فى مصر التي يتسم أهلها بقوة روح السخرية التي تميزهم عن سائر الشعوب كمـــا يذهب بعض الباحثين [١].

فمنذ صباه نراه يرسم صورة ساخرة ومضحكة لتفاهـــة وضعـف أحلام العامري والكناني من خلال تباهيهما واستعراضهما لقتلـــهما فـــأرا وإبرازهما له وكأنهما صرعاه لوجهه كفعل العرب فيقول ســـاخرا منـــهما ومن استعظمهما لتوافه الأمور : [٢]

لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرذُ الْمُسْتَغِيـــــرُ أَسِيرُ الْمَنَايا صَرِيعَ الْعَطَـــــبْ
رَمَاهُ الْكنانيُّ والْعامِـــــــرِي وَتَلَّاهُ للوجهِ فعْلَ العَـــــرَبْ[٣]
كَلَا الرُّجلَيْنِ اتَّلا قَتْلُـــــــهُ فأيُّكُمَا غَلَّ حُرَّ الـــسَّـــلَبْ[٤]
وَ أيُّكُمَا كَانَ مِنْ خَلْفِـــــــهِ فإنَّ بِهِ عَضَّةً فِي الذَنَـــــبْ

(١) كافوريات أبي الطيب المتنبي / للنعمان القاضي ص ٤٤١
- مع المتنبي / لطه حسين
(٢) شرح ديوان المتنبي / للبرقوقي ج ١ ص ٣٢٨.
(٣) تلاه للوجه صرعاه لوجه ، كما تفعل العرب بالقتيل
(٤) اتلا : تولى وباشر غل : خان من الغلول : الخيانة فى المغانم . والسلب : ما يسلب من ثياب القتيل وسلاحه وما اليهما وحره: جيده.

فإذا نحن لا نملك أنفسنا من الضحك عليهما والسخرية والتندر بهما ولعل هذا ما دفع الدكتور طه حسين للقول عن هذه الأبيات الساخرة " فلن يرى سخرية ألذع من هذه السخرية [١].

ويقول ساخراً من القاضي الذهبي مستغلا التركيب اللغوى للقبه[٢]

لَمَّا نُسِبْتَ فكنت ابناً لغير أبٍ ... ثُمَّ امْتُحِنْتَ فَلَمْ تَرْجِعْ الى أدَبَ
سُمِّيت بالذَّهَبِيِّ اليومَ تسْمِيَةً ... مُشْتَقَّةً مِنْ ذِهابِ الْعَقْلِ لا الذَّهَبِ
مُلَقَّبٌ بِكَ ما لُقِّبتَ وَيْكَ بِهِ ... يأيُّها اللَّقَبُ الْمُلْقَى على اللَّقَبِ

ويقول ساخراً بابن " كرَوَّسَ " وكان أعور ومن غروره وصلفه [٣]

فَيَا ابْنَ كَرَوَّسٍ يا نِصْفَ أعْمَى ... وَإنْ تُفْخَرْ فيا نِصْفَ الْبَصِيرِ
تُعَادِيْنا لأنَّا غَيْرُ لُكْنٌ ... وتُبْغِضُنا لأنَّا غَيْرُ عُورِ
فَلَوْ كُنْتَ امْرَءاً يُهْجَى هَجَوْنَا ... ولكن ضَاقَ فَتْرٌ عَنْ مَسِيرِ

ويقول ساخرا من ضبة بن يزيد العتبي ومن تيهه بشجاعته المزعومة التى تعكس جبنه وضعفه وجهله وغبائه .[٤]

وَكُنْتُ تفخرُ تِيهاً ... فَصِرْتَ تَضْرِطُ رَهْبَهْ
وإنْ بُعْدْنا قليلاً ... حملت رُمحاً وحرْبَهْ
وقُلْتَ ليتَ بِكَفَّي ... عِنانَ جَرْدَاءَ شَطْبَهْ

---

(١) مع المتنبي / ص ٤١
(٢) المصدر السابق / ج١ ص ٣٤١
(٣) شرح ديوان المتنبى / ج٢ ص ٢٤٨
(٤) المصدر السابق / ج١ ص ٣٣٤
- عنان : سير اللجام ، والجرداء من الخيل : القصير الشعر والشطبة : الطويلة .

إنْ أوْحَشَتْكَ المعالِـــي فإنهَّا دارُ غربـــــهْ
أو آنستكَ المخـــازِي فإنهَّا لكَ نسبـــــهْ
وإنْ عرفْتَ مـــــزادي وتكشَّفتَ عنْكَ كُرْبـــهْ
وإنْ جَهِلْتَ مُـــــرَادِي فَإنهَّ بِكَ أشْبَـــــهْ

فيالها من صورة مضحكة ساخرة تلك التى تصور جبنه ورعبـــه وياله من أسلوب ساخر ودقيق الذي يسخر فيه من جهله !

ولم تقتصر سخريته التي قالها فى شبابه وقبل اقامته فـــى مصـــر على السخرية من تلك النماذج الإنسانية الشاذة ، بلة امتدت لتشمل الزمـــان وأهله والدنيا التي أصبح لا يأبه لها ولما فيها من مغريات فيقول ســـاخراً منها ومستعليا عليها وعلى أهل هذا الزمان الأدنيـــاء الخســـاس الجـــهلاء الحمقى الجبناء وناقدا لهم ولسلبياتهم ولهذه الدنيا الخسيســـة التـــى تجـــبر الكرام على صداقة الأعداء وملاينتهم والتى ملها ومل مغريتها [1]

أذِمُ إلى هذا الزَّمان أُهَيْلَـــــهُ فَأَعْلَمُهُمْ فَدْمٌ، وأحْزَمُهُمْ وَغْـــدُ
وأكرمهم كَلْبٌ وأبصرهم عَـــمٍ وأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ وأشْجَعُهُمْ قِـــرْدُ
ومن نكد الدنيا على الحرِّ أن يرى عدواً له مامن صداقتِهِ بُـــدُّ
بِقلبى ، وإنِّ لم أرْوَ مِنْها ملالـــةٌ وبي عَنْ غوانِيْها، وإنْ وصلتْ صدُّ

(١) شرح ديوان المتنبى / للبرقوقى ج ٢ ص ٩٢ الى ص ٩٤
هذه القصيدة قالها فى مدح محمد بن سيار بن مكرم التميمى وهو في طريقه من انطاكيـــة الـــى دمشق قبل لقائه بسيف الدولة الحمداني.

وامتدت سخريته لتشمل الساسة والرعية ولتصدر سهامها النـــاقدة إلى الحياة السياسة في عصره بجانب الحياة الاجتماعية المتمثلة فى نـــاس دهره وعصره إذ يقول في قصيدته التي قالها فى شبابه مادحا المغيث بـــن العجلي : (١)

فُؤادُ ما تُسَلِّيهِ المـــــدامُ ... وَعُمْرٌ مثلُ ما تَهبُ اللِّئـــامُ

ودهرٌ ناسُهُ ناسٌ صِغـــارٌ ... وإن كانتْ لهمْ جُثثٌ ضِخـــمُ

ومَا أنا مِنْهُمُ بالْعَيْشِ فَيهِـــمْ ... ولَكنْ مَعَدْنُ الذَّهَب الرَّغـــامُ

أَرَانبُ غيرَ أنهَّمُ مِلـــوكُ ... مُفتَّحَةٌ عُيُونهمُ نِيـــــامُ

بأَجسامٍ يَحرُّ القَتلُ فيهـــــا ... ومَا أَقْرانُها إلاَّ الطعَّـــامُ (٢)

وخيلٍ مَا يَخُرُّ لها طَعِيـــنٌ ... كأنَّ قنَا فَوارِسها ثُمَـــامُ (٣)

فإذا هو يرسم صورة ساخرة لمجتمعه ولأهل دهره محـــاولاً مـــن خلالها ابراز غربته النفسية عن أهل هذا الدهر ضعـــاف الـــهمم ضخـــام الجثث .

ثم يتبعها بصورة ساخرة لملوك عصره الجبناء الذين يعيشون فـــي غفلة واستكانة لا يحركون ساكناً ولا يحفلون إلا بالإنكباب على اللـــذات والمآكل حتى يموتون بالتخمة لا في حومة الوغى أما جيوشهم وخيولـــهم وإمكاناتهم الحربية فهى معطلة قاصرة لا تحرك ساكناً.

---

(١) شرح ديوان المتنبي / جـ ٤ / ١٩٠ .

(٢) يحر : يشتد ، الاقران : جمع قرن وهو الكفء فى الحرب

(٣) خرّ : سقط ، القنا : الرماح ، والثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص

وبهذا يتأكد لنا أنَّ هذا الاتجاه الساخر ملازماً لشعر أبـــي الطيـــب المتنبي منذ بداتيه لأنه وليد دوافع نفسية وخارجية تضافرت على ظـــهور هذا الاتجاه فى فنه الشعري وإن كان من الممكن القـــول أن المتناقضـــات العميقة والإحباطات الشديدة والحزن الدفين والغربة النفسية التي عاناهـــا بضراوى فى فترة إقامته فى مصر قد عمقت لديه هذا الاتجـــاه الســـاخر في تلك الحقبة .

ويتسع الاتجاه الساخر فى شعر أبو الطيب المتنبي ليشمل الحيـــاة والأحياء ونجد السخرية السياسية تتعـــانق فـــى شـــعره مـــع الســـخرية الاجتماعية فى انسجام تام لأنها منبعثة من نفس حساسة مرهفـــة قويـــة تتمتع برؤية متسعة عميقة نابعة من إحساس صادق نـــاتج عـــن معانـــاة حقيقية قد صهرتها المواقف الصعبة والاخفاقات المتتالية فزادتها إصـــراراً على كشف حقائق الحياة والنفاذ إلى أعماقها وكشف أدوائها فوجهت إليـــها سهام سخريتها الصائبة القادرة على النفاذ إلى العقول والقلوب.

سخريته الاجتماعية :

تتسع السخرية الاجتماعية فى شعر أبي الطيب المتنبـــي لتشـــمل مجتمعه وما يضطرب فيه من متناقضات ويركز شاعرنا زوايـــا التقاطـــه على العيوب النفسية والخلقية لهذا المجتمع الذى يئن بالعديد مـــن الأدواء النفسية والخُلقية.

من تلك العيوب النفسية والخُلقية التى يرى أنها الـــداء العضـــال الساري فى مجتمعه والذى يعده محوراً لـــلأدواء الاجتماعيـــة الأخـــرى **الضعف والخنوع والجبن والتذبذب** ولهذا ركز زوايا التقاطه علـــى هـــذا

الداء ساخراً منه ومن النماذج البشرية التي تتسم بتلك النقائص والتي يبدو منها إدراكه الدقيق للسلوك النفسي المصاحب لها وهو محاولة الظهور بمظهر الشجاع[1] عندما يشعر أنه يعيد عن المواجهة الحقيقية كمحاولة نفسية لتعويض النقص الذي يئن منه فيقول ساخراً من الجبن ومسلطاً الأضواء على سلوكهم المصاحب لجبنهم:

و إِذا مَاخلاَ الْجبَانُ بِأرْضٍ طَلَبِ الطَّعنَ وَحدهُ والنِّزالاَ[2]

ويركز سهام سخريته على فلسفة أو تبرير هؤلاء الجبناء ويرى أن تبريرهم هذا اكبر دليل على لؤمهم ولؤم طباعهم فيقول ساخراً من منطقهم [3]

يَرَى الْجبنَاءُ أنَّ الْعجْزَ عقْلٌ وتلك خَديعةُ الطَّبْعِ اللَّئيمِ
وكُلُّ شجَاعةٍ فىْ المرْءِ تُغنِى ولاَمثْلَ الشَجاعةَ فى الْحكيْمِ

وتصل سخريته إلى القمة وإلى النقد اللاذع لمجتمعه الذي يرى أن أكثر أُناسه يتسمون بتلك النقيصة (الجبن) فإذا هو يسخر منهم ومن محاولاتهم الدائبة للظهور بعكس ما هم عليه مركزاً على إبراز التناقض بين ما هم عليه فى الواقع وما يتظاهرون به وبين ما يقولونه وما يفعلونه فيقول [4]

---

(١) انظر البحث / ص ٢٣ – ٢٤.
– شرح ديوان المتنبي / ج١ – ٣٤٤
(٢) شرح ديوان المتنبى / للبرقوقى ج ٣ – ٢٦٢
(٣) المصدر السابق / ج ٤ – ٢٤٦
(٤) المصدر السابق/ ج٢ / ٣٣٠ ٣٣٢
الحفيظة = الحمية والأنفة
الغى : الانهماك فى الجهل – خلاف الرشد

غَيْري بأكْثَرِ هَذا النَّاس يَنْخَدعُ إنْ قاتَلُوا جَبنوا أو حَدَّثُوا شجُعوا
أَهلَ الحَفيظَة إلاَّ أنْ تَجُربهمُ وفي التجَّاربِ بَعْد الغيِّ مايَزَعُ

ويرى المتنبي أنَّ الجهل والغباء وسفاهة الأحلام والعقول من أهم الأدواء التي تسيطر على أفراد مجتمعه فيسلط سهام سخريته على غباء أهل عصره قائلاً لعاذلته التي تحاول ادعاء العقل والحكمة ساخراً منها ومن ادعائها ومن كل من هو على منوالها(١)

دُعَواكِ كُلُّ يدَّعىْ صحَّةَ الْعقْلِ ومَنْ ذا الَّذى يَدْري بما فيهِ من الْجهْلِ

ويسخر شاعرنا من هؤلاء الجهال الأغبياء الذين قصرت عقولهم وقرائحهم عن فهم أشعاره ومعانيه ومن هم على شاكلتهم ممن تقصر قرائحهم عن فهم الحقائق فيدعون أنَّ العيب فى تلك الحقائق غافلين وجاهلين بأن العيب فى فهمهم وضيق أفقهم فيقول : (٢)

وكَمْ منْ عَائبٍ قَوْلاً صَحيحاً وآفتُهُ مَنِ الْفهَمْ السَّقيم
ولكنْ تأْخذ الآذان مِنْهُ علَى قَدْرِ القَرائحِ والْعُلومِ

ويسخر المتنبي من عبثية الواقع وتناقض الأشياء التى تأبى إلا أن يشقى ذو العقل والحكمة وإن كان فى نعيم لتفكره الدائم في عواقب الأمور وعلمه بتحول الأحوال بينما ينعم الجاهل وهو في الشقاوة لجهله وغفلته فيقول ساخراً من تناقض الأحوال وعبثية الواقع الذي يجعل مثل هؤلاء الجهال ينعمون فى كل الأحوال :(٣)

(١) شرح ديوان المتنبى / للبرقوقى ج ٤ / ٣
(٢) المصدر السابق / ج ٤ / ٢٤٦
(٣) المصدر السابق / ج ٤ / ٢٥١

ذوُ الْعقلَ يَشقى فِي النَّعيمِ بعقلَهَ وأَخُو الجَهالةِ في الشَّقَاوَةِ ينْعِمُ

ويصور أبي الطيب المتنبي التناقض وانقلاب الأوضاع الذى يعم زمنه ومجتمعه من محاباه الزمان وإقباله على الجهال والأغبياء ومناصبته العداء واصابته بسهامه لأفاضل الناس ويسخر من هذا التناقض فيقول[1]:

أَفَاضِلُ النَّاسِ أغراضٌ لذا الزَّمنِ يَخْلوُ منِ الْهَمَّ أخلاهُمْ من الفَطَنَ

وإنماً نحنْ فيِ جِيلٍ سواسيـــةٍ شرٌ علىِ الحُرِّ مِنْ سقم على بَدنِ

وتزداد سخريته من جهل أهل عصره الذين مـــا هـم إلا صـور وهيئات تتحرك بلا إدراك أو وعى فهم أقرب للحيوانات ولذا يرى أنه مـن الخطأ الاستفهام عنهم بأداة الاستفهام (من) التـــى تستعمل للعـاقل لأن الأجدر بهم أن يستعمل للتعبير عنهم " ما " التى تدل على غـــير العـاقل لأنهم دائماً جهال وأعداء لذوي الفضل والعلم فيقول :[2]

(١) شرح ديوان المتنبي / للبرقوقي ج ٤ ص ٣٤١

- أغراض : جمع غرض وهو الهدف الذى يرمى بالسهم

- سواسية : مستاوون

(٢) المصدر السابق جـ٤ ص ٣٤١ ، ٣٤٢

خلقٌ : اشباح وصور لأشخاص

غرر : خطر وخوف لأن الأسم من غر بنفسه اذا عرضها للتهلكة

مضغن : ذو ضغن وحقد.

حَوْلِي بكُلِّ مِكانٍ مِنْهمُ خَلَقٌ تُخطئ إذا جِئتَ فى استَفهامِهاَ بِمنْ
لا أقْتِرِي بلدَاً إلاَّ على غررٍ ولا أمُرُّ بخُلقٍ غيرْ مُضطَغَـــنِ

ويسخر أبو الطيب المتنبي من بعض نماذج هؤلاء الجهال الذيـــن لا يستطيعون التفرقة بين الضحك عليهم وعلى جهلهم وسفه عقولهم وبيـن الضحك لهم من الذين يخدعهم ضحكه فيتمادون فى جهلهم وسفههم حتـــى يفترسهم ويبطش بهم قائلاً [1]:

وجَاهلٍ مَدَّهُ فِى جِهْلِهِ ضحكي حَتَىَ أتتْهُ يدٌ فرَّاسةٌ وفمُ
إذا نَظرْتَ نُيُوب اللَّيْثِ بارزةً فلا تظُنُّ أنْ اللَّيْثَ مَبْتَسمُ

ويرى المتنبي أن من أدواء مجتمعه التى يئن بها والمرتبطة بجهل وغباء أهل عصره هو حسدهم لأولى الفضل ومحاولاتهم الدائبـــة للنيـل منهم ومعالجتهم لجهلهم بفضلهم ولتمكن داء الحسد العضال منـــهم الـــذي اسقمهم نفسياً وعقلياً وسلب منهم القدرة على التمييز فيقول ســـاخراً مـــن الحساد الذين أولعوا بذمه والانتقاص من شاعريته فـــإذا بحســـدهم داء لا دواء له.

وخاصة ممن يَّدعون الشعر لجهلهم وهم ليسوا أهلاً له وممن هـــم على شاكلتهم من الحساد الذين لغبائهم وعدم ادراكهم يعيبون أهل الفضل :

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ٨٤ – ٨٥

أرى المتشاعِرينَ غروا بذمِّي ... ومَنَّ ذا يحمَدُ الدّاء العُضالا[1]
ومن يكُ ذا فمٍ مريـــــضٍ ... يجِدْ مرّاً به الماءَ الزلالا

ويقول ساخرا من حساده ومتخذا لسخريته مظهر الاستعلاء عليهم وعلى جهلهم المصاحب لادعاء كمال العقل الذى يدعو إلى المزيـــد مـــن السخرية ومتخذا منهم نموذجاً للسخرية ممن هم على شاكلتهم من أفـــراد مجتمعه[2]

أفي كُلِّ يومٍ تحتَ ضِبْني شُوَيْعِرٌ ... ضعيفٌ يقاويني قصيرٌ يطـــاولُ
لساني بنطقيْ صامتٌ عنه عاذلٌ ... وقلبي بِصُمْتي ضاحكٌ منه هازلُ
وأتعبُ منّ ناداكَ منْ لا تُجيبهُ ... وأغيظُ مَن عاداكَ من لا تتشاكلُ
وما التيه طبي فيهم غير أنني ... بغيضٌ إلى الجاهلُ المتعاقـــلُ

ويرى المتنبي من أدواء مجتمعه ضعف الهمم والتكاسل عن طلب المجد والطموح إلى معالي الأمور وإن توفـرت للكثـير منـهم أسـبابه وبواعثه من نسب وأصل وسلطة ومال وشباب مكتفيـن بـالفخر بأمجـاد الآباء والأجداد عاجزين عن مواكبتهم والسير على منوالهم مما يدل علـى لؤم طبعهم فيقول ساخرا منهم ومن عجزهم وضعف همهم وخاصة مـن

(١) شرح ديوان المتنبي / للبرقوقي ج ٣ ص ٣٤٤
- غروا : أولوعوا لأنه غرى بالشئ أولع به
- العضال : الذى لا دواء له.
(٢) المصدر السابق / ج٣ ص ٢٣٧
- القد : القامة ، وحد : اى حد السيف ويعنى بمن له قد وحد الشاب الذى لم يذهب الكبر بقوتـه ، ونبا السيف : كل عن الضرب

توفرت له قوة الشباب وبأسه ثم لم ينفذ في الأمور ومن وجد الطريق إلى المعالي ممهدا له فلا يبادر ولا يتعب نفسه في الوصول إليها [1].

أرى الأجداد تغلبها كثيرا ... على الأولاد أخلاق اللئام
ولست بقانع من كل فضل ... بأن أعزى الى جد همام
عجبت لمن له قد وحد ... وينبو نبوة القضم الكهام
ومن يجد الطريق الى المعالي ... فلا يذر المطى بلا سنام
ولم أر فى عيوب الناس شيئا ... كنقص القادرين على التمام

ويسخر المتنبي من إعجاب أفراد مجتمعه بالمظاهر الكاذبة وتمسكهم بها وإن كانت على حساب كرامتهم ، ومن وضاعة نفوسهم التي ترضى الذل والظلم (الموت النفسي) ما داموا ينعمون بحسن المأكل والملبس وأمثالها من الأشياء والمظاهر الزائلة قائلا[2]

ولا يعجبن مضيما حسن بزته ... وهل يروق دفينا جوده الكفن

ويرى المتنبي أن مجتمعه يحفل بالمظاهر الكاذبة فهو لا يحفل إلا بالجمال الظاهر لا بجمال النفس والأخلاق فيسدد إليه سهام نقده ساخرا منهم وممن يغريهم المظهر عن الجوهر فيقول:[3]

---

(١) المصدر السابق / جـ٤ صـ ٢٧٥. والقضم : السيف الذى فيه فلول ، والكهام : الذى لا يقطع.

(٢) شرح ديوان المتنبى / للبرقوقى ج ٤ ص ٣٤٤ – مضميا : مظلوما ذليلا

(٣) المصدر السابق / ج ٢ ص ٣٣٢

المارن : ما لان من الأنف يجتدع : يقطع

ليسَ الجمالُ لوجهٍ صحَّ مارنُهُ أنفُ العزيزِ بقطعِ العِزِّ يُجْتدَعُ

ويسخر شاعرنا من الخداع الذى يعُمُّ مجتمعه والزيف الذى يغلب عليه بأشكاله المختلفة فيقول ساخرا من أهل عصره ومن نفاقهم وودهم الزائف الذى يزرع الشك في النفوس و يسبب الاضطراب والعديد من الآثار السلبية فى العلاقة بين أفراد المجتمع. (١)

فلما صارَ ودُّ الناس خِبّاً جزيتُ على ابتسامٍ بابتسامِ
وصرتُ أشكُّ فيمنْ أصطفيه لعلمي أنهُ بعضُ الأنامِ

ومن خلال تجربة المتنبي العملية يصل إلى سيطرة الخداع الاجتماعي والنفاق الديني علي أخلاق مجتمعه وأهل عصره فإذا هو يسلط سهام سخريته ونقده اللاذع المؤلم قائلا :(٢)

إذا ما النَّاسُ جرَّبَهُمْ لبيبٌ فإني قد أكلتهم وذاقا
فلم أر وُدَّهُمْ إلا خداعا ولم أر دِينَهُمْ إلا نفاقا

ويسخر المتنبي من التكلف والكذب والزيف الذى يعمُّ مجتمع الْحَضَرْ ويحنُّ إلى الصدق المتمثل فى حياة البداوة فتشتد سخريته من جمال الحضريات المتكلف الممقوت المزيف ومظاهره المختلفة مؤكدا تلك السخرية من خلال الموازنة بينه وبين الجمال الصادق والطبيعى للأعرابيات قائلا :(٣)

(١) المصدر السابق / ج ٤ ص ٢٧٤
(٢) المصدر السابق / ج ٣ ص ٤٧
(٣) شرح ديوان المتنبى ج١ ص ٢٩١ الى ٢٩٣

ماأوّجُهُ الحَضَرَ المسحسناتُ بـــــهِ كأوجهِ البدوياتِ الرعابيـــــبِ
حسنُ الحضارةِ مخلوبٌ بتطريـــــةٍ وفي البداوةِ حسنٌ غيرُ مجلـوب
أينَ المِعيزُ من الآرام نظـــــــرةً وغيرَ ناظرةَ فى الحســنِ والطِّيبِ
أفدِي ظباء فلاةٍ ماعرفن بهـــــا مضغَ الكلام ولا صبغَ الحواجيب
ولا برزنَ من الحمام ماثلـــــــــة أوراكُهُنَّ صَقيلات العراقيـــب
ومن هوى الصدق في قولي وعادتِه رغبتُ عن شَعْرٍ في الرأسِ مكذوبِ

فيا لها من صورة ساخرة لهؤلاء الحضريات يستقصي فيـــها أدق تفاصيل التكلف والزيف الذي يمقته. وينقد من خلالها مجتمعه الذى يحفـل بالكذب والتكلف والزيف الذى يرفضه حتى فى أتفه وأضعف صوره وهـو صبغ الشعر الأبيض .

ويسخر شاعرنا من البخل والبخلاء الذين يحفـــل بـــهم مجتمعـــه وانعدام الكرم في أهل الأرض التى تحفل بشتى أنواع الخيرات [1] الا إنـها تفتقر إلى الكرام من ذوي النفوس العالية والأخلاق الكريمة قائلاً [2]

(١) يقصد بالأرض ارض الشام واهلها لأنه فى هذه القصيدة كان يمدح المغيث بن العجلى وهو مـــن أهل الشام .- انظر الديوان / ج٤ ص ١٩٠

(٢) انظر المصدر السابق/ ج ٤

ومَاكلٌ بِمَعذورٍ بِبُخـــــــلِ ولاَ كُلُّ علىَ بُخْلٍ يُـــــــلامُ
ولَمْ أرَ مِثْلَ جيرانِي ومِثْلِي لمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمِ مُقَـــــامُ
بِأرضٍ مَاشْتهيْتَ رأيتَ فِيْها فَليسَ يقُوتهاُ إلاَّ الْكـــــرامُ
فَهلاً كانَ نقْصُ الأهْلِ فِيهْا وكَانَ لاهْلهاَ منهْا التَّمـــــامُ

وهكذا تنفذ سهام المتنبي الساخرة إلى أعماق الأدواء الاجتماعيـــة التى يئن منها مجتمعه والتي مازالت تسري في كيان الأمة الإسلامية إلـــى الآن .

وترتبط السخرية السياسية عند المتنبي بالسخرية الاجتماعية لأنـــها جزء من هذا المجتمع وتمثل قطاع منه وإن اختلفت فى المسلك والاتجاه .

﴿ السخرية السياسية فى شعر أبي الطيب المتنبي ﴾

تتسع السخرية السياسية فى شعر أبي الطيـــب المتنبـــي لتشـــمل الساسة والحكام وأساليب الحكم والرعية والمحكومين فقد تجول شـــاعرنا فى الممالك الإسلامية واطّلع على سياستها وساستها ونفذ إلى العديد مـــن نقاط الضعف فيها وعانى منها فإذا هو بإسلوبه الساخر يحاول النفاذ إلـــى أغوارها وتصويرها تصويراً دقيقاً واضحاً كاشفاً لها ولسلبياتها .

ويجد " المتنبي " أن الداء العضال الذي يسري في كيـــان الأمـــة الإسلامية هو ضعف وجبن الحكام الذين لا حـــول لـــهم ولا قـــوة فـــهم محتاجون إلى الرعاية لا أن يقوموا بأعباء الرعاية خاصة في هذا الوقـــت الذي يهدد الأمة الإسلامية الأعداء من الداخل والخارج فيقول ساخراً منهم

ومن ضعفهم وجبنهم ومن كونهم ملوكا وهم على مثل هـذه الحالـة مـن الذعر والهلع خاصة فى هذه الظروف الصعبة التى تقتضى خلاف ذلك[1]

أيملِكُ المُلكَ والأسيافُ ظامِئةٌ ... والطير جائعة لحم على وضم

منْ لوْ رآنى ماءً ماتَ منْ ظمأٍ ... ولو مَثلتُ لهُ فى النومِ لم ينمِ

ويقول ساخراً من هؤلاء الملوك الذين يسلمون ممالكـهم لغـيرهم ولا يستطيعون المحافظة عليها من ضعفـهم وجهلـهم وعـدم تقديرهـم للأمور:

أُسخى المُلوكِ بنقل مملكـةٍ ... من كاد عنه الرأس ينتقـل[2]

لَوْلا الجَهالَةُ مادلَفتْ إلـى ... قوم غرقت وإنمـا تفلـوا

لا أقبلوا سرا ولا ظفـروا ... غدرا ولا نصـرتهم الغيل

يؤكد سخريته من ملوك عصره ومن غفلتهم وخورهم وتخاذلـهم وتخاذل جيوشهم وعدم جدوى قوتهم الحربية قائلا :

أرانبٌ غيرَ أنهمُ مُلوكٌ ... مفتحةٌ عيونهُمُ نيـامُ [3]

بأجسامٍ يحَرُّ القتلُ فيها ... وَماَ اقرْانهَا إلاَّ الطَّعـامُ

وَخَيلٍ يخُرُّ لها طعيـنٌ ... كَأنَّ قَنَاَ فوَارِسِها ثمـامُ

ويرى المتنبي أن الملوك والممالك الإسلامية قـد انغمسـت فـي التهالك على اللذات واللهو مما حال بينها وبين تحقيق أي فخـر أو مجـد عسكري أو سياسي ويدفعه التناقض الشديد بين موقفهم وموقـف سـيف الدولة الحمداني الأمير العربي والفارس المغوار الذى لا يقف شئ حـائلا

(١) شرح ديوان المتنبي : للبرقوقي ج٤ ص ١٦١ الوضم : الخشبة يقطع الجزار عليها اللحم

(٢) المصدر السابق / ج ٤ ص ٢٤

(٣) المصدر السابق / ج ٤ ص ١٩٠

بينه وبين تحقيق المجد السياسي والعسكري والذي انفرد بالتصدي لغزوات الروم والجهاد فى سبيل الله والمحافظة على الحدود الشمالية للدولة الإسلامية وتحقيق العديد من الانتصارات الفائقة على الروم وغيرهم من الخارجين [1] إلى السخرية من هؤلاء الملوك الذين ينغمسون فى شرب الخمر وإدارة كؤسها لا في القتال والجهاد وادارة الموت وتوزيعه على الأعداء قائلاً:

ما الذِي عنده تَدَارُ المنايا كالَذي عندَهُ تَدَارُ الشَّمُولُ[2]

ويقول ساخراً من انغماس ملوك عصره فى الانغماس في الشهوات الزائلة وانشغالهم بوسائل اللهو عن الجهاد فى سبيل الله وتحقيق المجد الديني والدنيوي من خلال موازنته بينهم وبين سيف الدولة الفارس المغوار الذى لا يستريح ولا يسكن عن الجهاد في سبيل الله والانشغال بتحقيق المجد .

---

(١) - انظر الحقائق التاريخية التى تظهر ما قام به سيف الدولة من عبء عظيم فى صده لغزوات الروم والنيل منهم والتي تجعله جدير بأن يتبؤ تلك الصورة المثلى للحاكم المسلم

- انظر التأمل فى الكون وظواهر الحياة / للباحثة ص ٢٦٨ رسالة ماجستير محفوظة بكلية الدرسات الاسلامية

- انظر شعر الحرب فى ادب العرب / لزكى المحاسني ص ٢٤٣- ٢٥٩ ط دار المعارف سنة ١٩٦ نقلا عن المؤرخ الفرنسي غو ستاف شلمبرجه

- سيف الدولة وعصر الحمدانيين / لسامي الكيالي ص ٨٠ ط دار المعارف المصرية لسنة ١٩٥٩

- أبو الطيب المتنبى دراسة فى التاريخ الأدبي / لبلاشير تعريف إبراهيم الكيلاني ص ٢١٨ ط وزارة الثقافة - دمشق ١٩٧٥

(٢) شرح ديوان المتنبي / للبرقوقي ج ٣ ص ٢٧٨

أَلهىَ الممَالِكَ عن فخرٍ قَفَلْتَ بهِ شربُ المُدامةَ والأَوْتَارُ وَالنَّغَمُ[1]

ويسخر شاعرنا من هؤلاء الحكام الذين لا يحركون ساكنا ولا نسمع منهم إلا الضجيج والصخب والتشويش ومن التناقض بينهم وبين سلوك رجل الفعل لا القول (سيف الدولة) الذى يخوض اعتى المعارك فلا يسمعنا إلا صليل السيوف قائلاً :

اذاَ كانَ بعضُ النَّاس سَيفاً لدولةٍ ففِي الناس بوقَاتٌ لهاَ وطُبولُ[2]

وإذا كان أبو الطيب المتنبي يسخر من ملوك عصره الذين تقاعسوا عن التصدي للثورات الداخلية وصدّ غارات الروم على الثغور الإسلامية فهو على صعيد آخر يرسم صورة ساخرة لهزيمة أعداء سيف الدولة وتقهقرهم وفرارهم وما يجتاحهم من خوف ورعب مرضي فاق الحد لعل سخريته من خوفهم وذعرهم ترفع الروح المعنوية للمسلمين وتغري ملوكهم المتقاعسين بالتصدي لهم .

ويظفر " الدمستق " قائد الروم فى العديد من الغارات بالنصيب الأوفر من سخرية المتنبي فيقول ساخرا من " الدمستق " وخوفه ورعبه النفسي إثر هزيمة سيف الدولة له :

أتى مرِعَشاً يَستَقْربُ البعدَ مُقبلاً وَأدبَر اذْ أقبلْتَ يَستبعدُ القُرباَ[3]

ويقول ساخراً من حالة الذعر التي أصابته وجعلته يتخلى عن أرضه ومقدساته الدينية:

---

(١) المصدر السابق / ج ٤ ص ١٤١

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٢٩

(٣) شرح ديوان المتنبي / للبرقوقى ج ١ ص ١٨٨

مَضىَ بَعْدَ ماالْتفَّ الرِّمَّا حان ساعة كمَا يَتلقَّى الْهُدْبُ في الرِّقْدَةِ الْهُدبا
ولكنهَّ وُلِّىَّ للطعن ســـــــــورَةٌ اذا ذَكَرتها نَفْسُهُ لمَسَ الجنبـــــا
وَخَلىَّ العذَارَى والبطاريق والقرى وشُعْثُ النَّصَارَى والقرَّابيَنَ والصُّلْبا

ويسخر شاعرنا من شدة دهشة الدمستق وجيوشه وزعرهم عنـــد رؤيتهم لجيش سيف الدولة الذى أصابهم بالعمى النفسي وأفقدهـــم الإدراك قائلا:

ذَمَّ الدمَّستقُ عَينيَهِ وَقَدْ طَلعَتْ سُودُ الغَمَامَ فَظَنُّوا انَّها قَزَعُ[1]

ومن حالة الهلع والذعر التي أصابتهم بهستريا الجنون قائلاً:

وَمانجا منْ شعار البيض مُنْفلتٌ نجاً ومنْهُنَّ فى أحْشائهَ فَـــزَعُ[2]
يُباشِرُ الأمْنَ دهراً وهوَ مُختبلٌ وَيشَرَبُ الْخمَرَ حَوْلاً وهو ممتقعُ

ويرسم شاعرنا صورة ساخرة لتكرار هزيمة الدمستق وفراره مـن المعركة وعدم اعتباره من هذا التكرارمركزا سخريته على إظهارغبائـــه وجهله قائلا :

أفى كل يوم ذا الدُمسْتُقْ مقدمٌ قَفَاهُ عَلَى الأقدامِ لِلْوَجْه لائـــمُ[3]
أَينكِرُ رِيحَ اللَّيْثَ حَتى يَذوُقَهُ وَقَدْ عرفتْ رِيْحَ الليوُثُ البَهائم

ويقول أبو الطيب المتنبي ساخراً من رسول الروم وحالة الذعـــر التي لازمته عند مجيئه إلى سيف الدولة ليعرض عليه الهدنة:

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٣٥
= سود الغمام : السحاب المتراكم الكثيف – والقزع : السحاب المتفرق
(٢) المصدر السابق / ج ٢ ص ٣٣٧
(٣) المصدر السابق / ج ٤ ص ١٠٥

أتاك يكادُ الرَّأسُ يَجْحدُ عُنُقَهُ وتنْقدُّ تحتَ الذعر منه المفاصلُ[1]
يقوم تقويم السماطين مشـــية إليك إذا ما عوجته الأفَاكِـــلُ

ويسخر المتنبى من " ابن شمشقيق " قائد الروم الـــذي أقســم ألا ينهزم ويولي الأدبار أمام سيف الدولة كما فعل " الدمستق " فإذا بقســـمِهِ يسخرُ منه إذ هو يسرع فى الفرار مذعوراً لاهثا فيقول :

وأسلمْ أبَنُ شُمشْقيقٍ أليَّـــتَهُ -ألاَّ انثنىَ- فهْوَ ينأى وهى تَبْتَسم[2]
لا يَأمَلُ النَّفسَ الأقصَىَ لمُهْجتهِ فَيسْرفُ النَّفسَ الأدنْىَ ويَغتَـــنمُ

وكما سخر المتنبي من هلع وذعر الروم وقوادهم من سيف الدولـة ليرفع الروح المعنوية له ولجيوشه ويضعف الروح المعنوية للروم ويقلـل من شأنهم وليغرى غيره من ملوك الضعفاء للتصدى لهم فقد ســخر أبــو الطيب المتنبي من رعونة قبائل بني عقيل وقشير وبنـــي عجـلان وبنـــي كلاب الذين حاولوا الخروج على سيف الدولة فأصابتهم الهزيمة وأصابـهم الهلع والذعر عند خروجه لهم بقوله:

فلَّذهمُ الطِّرادُ الى قتَـــــالَ أحَدُّ سِلاحَهمْ فيهِ الفِرارُ[3]
مَضوا متُسابِقي الأعضَاب فيـه لأرؤسَهمْ بأرجُلهمْ عثَارُ

---

(١) المصدر السابق / ج ٣ ص ٢٣٣
- يجحد : ينكر ، تتقدُّ " تنقطع ، السماطين : الصفين يريد صفين من الجند كانا بين يدى سـيف الدولة . الأفاكل : جمع أفكل وهو الرعدة التى تعرض عند الفزع .
(٢) المصدر السابق / ج ٤ ص ١٤٠
- اسلم : ترك ، ابن شمشقيق : بطريق من بطارقة الروم أى قوادهم وأليته : يمينه
- الا انثنى : حكاية اليمين وينأى يبعد
- الأقصى : الأبعد : ضد الأدنى والمهجة : الروح.
(٣) شرح ديوان المتنبي / للبرقوقي ج ٢ ص ٢٠٧

ويسخر شاعرنا من (بنى كلاب) الذيـــن حـــاولوا الخـــروج مـــع الخارجي الذى نجم بهم والذى روّع أهل الكوفة وفرّ هارباً قبل وصـــول جيش " دلير بن لشكروز" الذي أطاح بهم قائلاً: (١)

أرادتَ كلابٌ أنْ تفُوزَ بِدَوْلـــةٍ ... لِمَنْ تَرَكَتْ رَعْيَ الشويّهاتِ وَالإبـْلِ
أبى رَبُّها أنْ يترك الوحشَ وَحْدها ... وأنْ يؤمنَ الضَّيبَ الخبَيثَ منَ الأكْلِ
وقادلها دلْيرُ كل طِـــــــمرّةٍ ... تُبيفُ نجدِهُا سَحُوقٌ مِنَ النَّخْـــــلِ
فَوَلّتْ تُريغُ الغَيثَ وَالغَيثَ خلْفَتْ ... وتطلبُ ماقدْ كانَ فى اليدِ بالرِّجْلِ
تُحاذرُ هُزْلَ المال وَهى ذَليـــلةٌ ... وأشهدُ أنَّ الذلَّ شَرٌّ منَ الهَـــــزلِ

ويسخر المتنبي من ملوك عصره وتأثيرهم السلبي على أمتهم بما يبثونه فيهم من خنوع وذعر وقيم مختلة أخطر عليهم من التأثير الســـلبي للأوثان ويرى أنهم أحق بالإطاحة بهم من تلك الأوثان وتشـــتد ســـخريته عندما يذكر أنهم ليسوا أهل للـــوم أو تعنيـــف لأنـــهم لا يملكـــون العقـــل ولا القلب ومن لا يملك ألة الشيء لا يكون أهلاً له فهم لا يملكون العقـــل حتى يميزوا بين الأخلاق المثلى وبين الرذائـــل التـــى ينغمســـون فيـــها ولا الإحساس ليشعروا بسوء ما هم عليه فهم جهلاء يفتقرون إلى العقـــل فكيف نطالبهم بالتمييز وهم عديمى الاحساس فكيف نطالبهم بـــأن يتحلـــوا بالأخلاق إذ يقول : (٢)

(١) المصدر السابق / ج ٤ ص ١١-١٢
(٢) شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ج ٤ ص ٣٤٢

وَلَا أعَاشِرُ فى أمْلاكِهم أحَداً ... إلاَّ أحَقَّ بضَرْب الرَّأسِ منْ وُثن
إنى لا أعْذرُهُمْ مِمّا أعُنفهمُ ... حَتىَّ أعنفُ نفسِي فيهم وأنـــي
فقرُ الجَهُولِ بلا عقل الى أدبٍ ... فقرُ الحِمارِ بلا رَأسٍ إلي وَثـــنِ

وتشتد سخريته من هؤلاء الملوك ويزداد نقده اللاذع لهم محـــاولاً تأليب الرعية على هؤلاء الملوك للإطاحة بهم لأنهم أخطـــر أثـراً مـن الأوثان حيث لا يتسمون بعفة الصنم بل هم منغمسون فى الرذائل لتـــى لا تأتيها الأصنام فيقول ساخراً:(١)

مازَلتُ أضحِكُ إبلِي كلما نظَرتْ ... إلى مَن إختضتْ أجفانُها بدَم
أُسيرُها بينَ أصنامٍ أُشاهِدُها ... ولا أُشاهِدُ فيها عِفةَ الصَّنم

ويرفض المتنبي أن يكون الحكم الفعلى للعبيـــد العجـــم لأنـــهم لا يصلحون للحكم بطبيعتهم حيث لم يتربوا ليكونوا حكاما بل هم عبيد أعـدوا للخدمة والامتهان بالاضافة إلى أن بينهم وبين الشـــعوب العربيـــة تبـــاين وتنافر واختلاف في الطبائع واللغة فكيف يتولون أمر العرب الذين جبلـــوا على الأنفة على كل ما هو غريب ووضيع .

ويسخر من هذا الوضع المقلوب الذي جعل الأعجمي الغريب هـــو الذي يحكم ويأمر والعبد هو الذي يسوس ويأمر.

(١) المصدر السابق / للبرقوقي ج ٤ ص ٢٩١

وتزداد سخريته عندما يرى خنوع وخضوع الشعوب العربية لـهذه المهزلة التي تجعله يسخر تلك السخرية المريرة من همـم العـرب التـي اندثرت باستسلامها لهذا الوضع المقلوب.

فيقول ساخراً من استسلام العرب لتلك المهزلة المضحكة وسـلخراً من هؤلاء الحكام الأعاجم من خلال مقابلته بين حالهم قبل الحكم وبعده:(١)

أَحَقّاً عافَ بدمعكَ الهمـمُ ... أحدثَ شَيءٌ عَهداً بها القَدَمُ
وَإنمَّا النَّاسُ بالملوكِ ومـا ... تُفْلحُ عُرْبٌ مُلُوكُها عَجَمُ
لَأدبٌ عندَهُمْ ولا حسـبٌ ... ولا عهودٌ لهمْ وَلا ذِمـمُ
بُكلِّ أرضٍ وطئْتُها أمَـمٌ ... ترْعَىَ بعَبْدٍ كأنهاَ غَنَـمُ
يستخشنُ الخزَّ حينَ يَلمسُهُ ... وَكَانَ يبرُى بظُفرِهِ القلـمُ

فإذا هو يجعلنا فى البيت الأخير لا نملك أنفسنا من الضحك علـى هذه الصورة قائلين سبحان الله مغير الأحوال!

ويتخذ المتنبي من كافور حاكم مصر هذا العبد الأسـود نموذجـاً للسخرية من هؤلاء الحكام العبيد الذين ينتشرون فى أرجـاء الولايـات العربية الإسلامية مستغلا سوء هيئته كمادة لسخريته من هـؤلاء العبيـد والنيل منهم فيقول ساخرا من سواد بشرته وسوء سـحنته فـى معـرض مدحه: (٢)

(١) شرح ديوان المتنبى : ج٤ ص ١٧٩ - ١٨٠
(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٥٨- ١٥٩

تفضح الشمس كلما ذرت الشمـــ ـس بشمس منيرة سوداء
إن فى ثوبك الذى المجد فيه لضيا يزري بكل ضياء
من لبيض الملوك أن تبدل اللـــو ن بلون الأستاذ والسحناء

وتشدد سخرية أبى الطيب المتنبي من كافور أخذا مـــن نقائصـــه الخلقية والخليقة مادة للهزء به مركزا سخريته على جهله وتشـــقق نعليـــه وسواد بشرته وغلظة شفتيه كمادة خصبة للسخرية اللاذعة التـــي أحالتـــه أضحوكة هو ومن هم على شاكلته من الحكام العبيد إذ يقول :

أريك الرضا لو أخفت النفس خافيا وما أنا عن نفسى ولاعنك راضيـــا [1]
أمينا وإخلافا وغدرا وخســـــه وجبنا أشخصا لحت لى أم مخازيـــا
تظن ابتساماتى رجاء وغبطـــة وما أنا إلا ضاحك من رجائيـــا
وتعجبنى رجلاك فى الفعل إننـــى رأيتك ذا نعل إذا كنت حافيـــا
وإنك لاتدرى ألونك أســـــود من الجهل أم صار أبيض ضافيا
ويذكرنى تخيط كعبك شقـــــة ومشيك فى ثوب من الزيت عاريا
ولولا فضول الناس جئتك مادجـــا بما كنت فى سرى به لك هاجيـــا
فأصبحت مسرورا بما أنا منشـــد وإن كان بالإنشاد هجوك غاليـــا
فإن كنت لاخيرا أفدت فإننـــى أفدت بلحظى مشفريك الملاهيـــا
ومثلك يؤتى من بلاد بعيـــــدة ليضحك ربات الحداد البواكيـــا

ويتابع شاعرنا السخرية من كافور حـــاكم مصـــر مســـتغربا أن يتصف مثله بمكارم الأخلاق ويتخذ من نشأته في كنـــف الحجـــام مـــادة لسخريته يستدل بها على خسته ولؤمه ويمزج سخريته بكافور مع سخريته

(١) شرح ديوان المتنبي / للبرقوقي ج ٤ ص ٤٣٤

بأهل مصر الذين قبلوا أن يرفعوه إلى هذه المكانة فكان عقـــاب لـــهم أن يحكمهم مثل هذا الخسيس قائلا:(١)

من أية الطرق يأتي نحوك الكرم أين المحاجم يا كافور والجلم

جاز الآلى ملكت كفاك قدرهـــم فعرفوا بك أن الكلب فوقهـم

ويسخر من انقلاب الأوضاع التى اقتضت أن يكافأ هذا العبد علـى خيانته لمولاه حاكم مصر بحكمه لمصر كمكافأة لهذا الفعل الخسيس الـذي دأب عليه، ومن تحويله مصر إلى ملجأ ووكر للعبيد الـــهاربين الخـــائنين لأسيادهم، وتسيدهم على أهل مصر واستعبادهم لهم قائلا:(٢)

أكلما أغتال عبد السوء سيـــــده أو خانة فله فى مصر تمهيد

صار الحصى إمام الأ بقين بهـــا فالحر مستعبد والعبد معبـــود

وينقد شاعرنا الفساد الذي يسري فـــي كيـــان الأمـــة الإســـلامية وخاصة مصر مسددا سهام نقده إلى أهم الأدواء الإقتصادية التـــي تعـــاني منها مصر ألا وهى الدأب على نهب ثرواتها وسلب خيراتها فى ظل غفلـة أهلها واستكانتهم فيقول ساخرا من كافور وحاشيته من العبيد الذين دأبـــوا على النهب المستمر لثروات مصر و خيراتها المستمرة لغفلة أولى الأمـــر والقائمين عليها، في محاولة لإغراء " انور جور" حاكم مصـــر الأســـمى بكافور وحاشيته عن طريق التلميح(٣)

---

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٨٠

(٢) شرح ديوان المتنبي / للبرقوقي ج ٢ ص ١٤٣ - ١٤٤

(٣) المصدر السابق / جـ٢ ص ١٤٤

فواطيرها : حراسها والمراد اشراف مصر وسادتها

والثعالب : المراد بهم عبيدها ارازلها من مثل كافور وحاشيته .

نامتْ نَواطيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَعالِبها فَقَدْ بِشِمْنَ وما تفنىَ العَناقيدُ

ويتبع المتنبي أسلوب التلميح بأسلوب التصريح فيقول ساخرا بـلبن الأخشيد " انور جور" وأمثاله من الملوك والحكام الذين حكموا مثـل هـذا العبد الوضيع وأمثاله فى أنفسهم.

وأمروهم على أنفسهم فسلبوهم ملكهم وأخضعوهم لهم، في محاولة لتأليبـه على مثل هذا العبد الأسود المخصي الذي يرسـم لـه شـاعرنا صـورة كاريكاتورية صارخة تضج بالمتناقضات.

إنَّ أمْرًا أَمَةٌ حُبْلَى تَدُبُّـرُهُ لَمُسْتَضَامٌ سَخِين العيَن مِفئودُ[1]

وَيْلُمِّهَا خُطَّةً وَيلُمِّ قابِلِهـا لِمِثْلِها خُلِقَ المَهريةُ القَـودُ

وَعَنْدَها لَذَّ طَعْمُ الموت شَارِبُـهُ انَّ المنيَّةَ عِند الذُّل فنريـدُ

مَنْ عَلَّمَ الأَسْوَدَ المَخْصِيَّ مَكْرُمَةً أَقَوْمُهُ البِيضُ أَمْ آباؤُهُ العُبَّيدُ

أم أذنه فى يد النخاس داميـة أم قدره وهو بالفلسين مردود

ويردف المتنبي سخريته السابقة بسـخرية أشـد منـها فيصيـب بسهامها الناقدة ملوك عصره جميعاً من ملوك كرام الأصل عاجزين عـن فعل الجميل أو حكام عبيد خساس الأصل مسخرا بدقة بالغة سخريته مـن كافور ليسخر منه ومن غيره من ملوك عصره الذين وإن فارقوه فى كـرم الأصل وبياض اللون فهم يشتركون معه فى العجز عن الجميل قائلاً:[2]

---

(١) المصدر السابق / ج٢ ص ٢٤٧ – ٢٤٨

ويلمها : كلمه تقال عند التعجب ، خطة : الأمر والشأن . والمهرية : الإبل المنسوبة الى مهرة بـن حيدان ، والقود : الطوال الظهور والأعناق ، القنديد عصير عنب يطبخ ويجعل فـى أفـواه مـن الطيب، الصيد : الملوك .

(٢) شرح ديوان المتنبي / للبرقوقي ج ٢ ص ١٤٨ التفنيد : اللوم وتضعيف الرأى والتحقير

أَوْلَى اللِئامِ كَوَيفِيرٌ بمعْـــذِرَة ... فيْ كُلِّ لومٍ وَبعضُ العُذْرِ تفنـيدُ
وذاك أنَ الفحولَ البيضَ عاجزةٌ ... عن الجميلِ فكيفَ الخِصَيةُ السّودُ

وهو بمثل هذه السخرية يستنفر همـم هـؤلاء الملـوك والسـادة ويشجعهم على ألا يقفوا مكتفين الأيدي ويحثهم على الثورة على مثل هـذه الأوضاع المقلوبة وتصحيحها .

وتصل سخرية المتنبي من كافور الى أوجها عندمـا يتخـذ مـن خصيه وسيلة للسخرية منه ومن جهله بما يثير أشد الضحكات من خـلال أسلوب خاص عجيب صاغه ليعبر به عن أعجوبة فريدة ألا وهي كويفـور هذا الخادم الحقير الأسود الخصي اللئيم الذى يسيطر على حكم مصر فـإذا هو يظهر في صورة أكبر من حجمه بكثير فيثير الضحك حيث يقول فـي قصيدته التى قالها عند رحيله من مصر ليلة العيد وفـراره مـن إمسـاك كافور له وتحديده لأقامته : (١)

وَنامَ الخُوَيدِمُ عن لَيلينـــاَ ... وقد نامَ قبلُ عمَيٌ لأكـــرَى
وَكانَ علىَ قُربِنَا بينَـــنا ... مَهامَهٌ منْ جَهْلِهِ والعمَـــىَ
لَقدْ كُنتُ أحسِبُ قبلَ الخَصَيـــ ... ـيَ أنَّ الرُؤُسَ مقرٌ النهـىَ
فَلماَّ نظَرتُ إلىَ عقلِـــهِ ... رَأيتُ النُّهَى كُلهَّا في الخِصي

وتمتد سخريته اللاذعة إلى المضحكات التى تئن بها مصر والتـى تثير حالة من حالات الضحك المرير التى ما هي إلا إنعكاساً لألم أكبر من البكاء ألا وهي هذا الكويفور وحاشيته التى تضج بالمتناقضـات والجـهل والرياء والنفاق " وشر البلية ما يضحك " من أمثال وزيره ابـن خنزابـة

(١) المصدر السابق / ج١ ص ١٦٦

أو أبى بكر المادرني النسابة الذى يدعي معرفة أنساب العـــرب " عـــرب البادية " وهو نبطى أعجمى لم ينزل إلا فى سواد العراق ولم يتجاوزه إلـــى البادية أو أحد من أهلها حتى يدعى هذا الإدعاء المضحك الـــذى ينكـــره جنسه وعجمته وحياته وإقامته ويرى شاعرنا أن هذا ليس بأعجب أو أكـثر إثارة للضحك من هذا العبد الأسود الذى تجاوزت شفتاه نصفه وهـــو مـــع ذلك يوصف ببدر الدجى وهو أبعد ما يكون عنه وهو لغفلته وجهله يسـرّ بما يقال له مع إنه سخرية منه وهجاء له وللناس الذين انقادوا لمثلـــه لأن مدحه والتزلف إلى مثل هذا العبد الحقير دليل على فساد النـــاس وفســـاد طباعهم التى جعلتهم يتنزلفوا لمثل هذا العبد الذي ضلوا به ووضعوه فـــى أكبر من حجمه بكثير حتى كادوا أن يعبدوه كما كانت تعبد الأصنام انقيـادا له وطاعة ويرى أن انقيادهم له لمن العجائب التي تفوق الانقياد للأصنـام لأنه أحقر منها وهذه طبيعة من يجهل قدر نفسه أن يقوده جهلـــه للغـــرور وهو لسان حال كافور وأمثاله أو يجهل قدر نفسه فيقوده جهله للحط مـــن شأنه والانقياد لمن هو أقل منه بكثير كشأن أهل مصـــر وغـــيرهم الذيـــن انقادوا لمثل هذا الحيوان الخسيس فيقـــول ســـاخرا مـــن هـــذه العجـــائب والمتناقضات الصارخة التي تحفل بها الساحة المصرية وأمثالها : [1]

---

(١) شرح ديوان المتنبي / للبرقوقي ج ١ ص ١٦٧ – ١٦٨

= النبطي : مفرد نبط وهم جيل من العجم ينزلون البطائح بن العراقين، والسواد : ســـواد العـــراق، والفلا : جمع فلاة والمراد بها البادية وأهل البادية هم العرب .

= الكركدن : هو حيوان من ذوات الحوافر عظيم الجثة ، قصير القوائم ، كثيف الجلد ، على أنفه قـــون واحد ولبعض أنواعه قرنان الواحد فوق الآخر ويسمى المرميس ويضرب به المثل فى عظم الجثـــة وقلة الغناء والخير وقبح الشكل.

= الزق: الإناء الأسود – زق رياح أى لا خير فيها لأن الزق اذا ملئ بالرياح فلا غناء فيه ولا نفع لأنه يكون فارغا إلا من صوت الهواء.

وَماذَا بمصْرَ منَ المضَحكات ... وَلٰكنّهُ ضَحكٌ كالْبُكـــــا

بها نبطيٌّ من أَهل السَّـوادِ ... يدرسُ أنْسَابَ أهلَ الفــلاَ

وأسودُ مشفرٍ نصفُـــــهُ ... يُقَالُ لهُ أنت بدرُ الدجَـى

وشِعرٌ مدحتُ به الكَرْكَـدَنَّ ... بين القَريضِ وبين الرُّقَى

فَمَا كانَ ذالكَ مدحاً لـــــهُ ... ولكنّهُ كانَ هَجْوَ الورَى

وَقَدْ ضَلَّ قومٌ بأَصنامِهِـــم ... فَأمَّا بزق رياَح فَـــلاَّ

وتلكَ صُمُوتٌ وذاَ ناطـــقٌ ... إذاَ حركُوُهُ فسَاَ أو هـَذى

وَمَن جَهلتَ نَفسُهُ قَـــدْرَهُ ... رَأىَ غيرُهُ مِنْهُ مالا يرَىَ

﴿السخرية السياسية المرتدية رداء الدين﴾

ويدرك المتنبي قوة العامل والوازع الديني وعمـــق تـأثيره فـي الشعوب الإسلامية وخاصة أهل مصر فيجيد الضرب على أوتاره فإذا هـو يسخر من عدم تمسك المصريين إلا بمظاهر الدين وقشوره من مثل حـف الشارب وتشذيبه ويجعل انشغالهم بهذه القشور أضحوكة تثير ضحك الأمـم وسخريتهم منهم لأنهم انشغلوا بها عن جوهر الديـن الـذى يـأمرهم أن يتولى أمرهم من هو أهل للولاية وليس هذا الكويفير الذى يثير تمليكه هـو ومن على شاكلته من الحكام شكوك أي عاقل فى حكم الباري - جل شـأنه حتى يفضى به إلى أن يظن أن الناس معطلون عن صانع يدبرهم كمـا أن تمليكه هو وأمثاله يؤكد ظاهرياً ما يزعم الملحدون من أمثـال الدهريين الذين يقولون أنه لو كان للعالم مدبر وكانت الأمور جارية علـى تدبـير حكيم لما ملك هذا العبد وأمثاله ولكن الله الذى لابد أنه سوف يسلط عليـه من يطيح به ليخزى الملحدين ويؤكد أن للعالم خالق مدبر يحسـن تدبـير خلقه محاولا من خلال ربطه الشديد بين السياسة والدين أن يستثير الأمـة

الإسلامية للثورة على هذا الكويفور والإطاحة به هو وأمثاله من الحكام اللؤماء من خلال سخريته اللاذعة التي هي أشبه بالقذائف النارية إذ يقول:(١)

أَغايةُ الدِّينِ أَنْ تحقوا وشواربكم ... يا أمةً ضحكتْ منْ جَهلِهَا الأُمَمُ
أَلا فتًى يُورِدُ الهنديَّ هَامتَهُ ... كَيْمَا تَزُولَ شُكُوكُ النَّاسِ وَالهِمَمُ
فَإِنَّهُ حُجة يؤذي القُلوبَ بها ... من دِينَهُ الدَّهْرُ والتَّعطِيلُ والقدمُ
مَا أَقدرَ اللهَ أنْ يُخزِي خَلِيقَتَهُ ... ولاَ يُصَدِّقَ قَوْماً فى الذي زعُموا

ويسخر شاعرنا من المسلمين وتكاسلهم وتخاذلهم عن التصدي للروم ومساندة سيف الدولة فى التصدي لهم مستغلا الوازع الديني كأداة تأثير ناجعة إذ يقول :

أَرَى المُسْلمينَ مَعَ المُشْركيـ ... ـنَ إمَّا لعجْزٍ وَإمَّا رَهَب
وَأنتَ مَعَ اللهِ في جانبٍ ... قَليلُ الرِّفَاد كثير التَّعَب
كأنَّكَ وَحْدكَ وَحْدتُهُ ... وَدَانَ البريةُ بابن وأبْ

ويربط المتنبي بين الدين والسياسة فيوجه سخريته لكل من يتمسك بالمظاهر الكاذبة من حكام لا يملكون من آلة الحكم إلا زيه الذي لا يمت للحكم وللحكام بصلة ويرى أنهم ليسوا أهل للحكم بارتدائهم لهذا الزي الذي يجب أن يتخلوا عنه لمن هو جدير به فليس كل من يرتديه ملك كما أنه ليس كل انسان جبينه دام يكون جبينه هذا من أثر العبادة قائلا:(٢)

---

(١) شرح ديوان المتنبي / للبرقوقي جـ٤ ص ٢٨١.
تحفوا : تستأصلوا
(٢) شرح ديوان المتنبي / للبرقوقى جـ١ ص ٢٣٢

وَخَلْ زِيّاً لِمَنْ يُحْقِقُهُ ما كل دَامٍ جَبِينُهُ عابِدْ

وهكذا استطاع أبو الطيب المتنبي أن يصل من خلال سخريته السياسة إلى أعماق الأدواء السياسية التى تئن بها الأمة الإسلامية والتي تمثل الداء العضال الذى يسري فى كيانها على الدوام وأن يبرزها بصورة واضحة ومكثفة تثير الانتباه .

﴿ السخرية من الزمن والحياة ﴾

وكما سخر أبو الطيب المتنبي من الحياة السياسية و الاجتماعية في عصره فهو يسدد سهام سخريته المريرة ونقده اللاذع إلى زمانه ودهره والدنيا والحياة والأحياء الذين يضجوا بالمتناقضات ساخرا من عبثية زمانه ودنياه واجدا من خلال حتمية الموت أن الاستعلاء على هذا الزمن الحقير والحياة الغادرة الزائلة التي يحرص عليها الإنسان مع تيقنه من زوالها ومفارقتها هى السبيل الصحيح لمواجهتها فيتخذ من الاستعلاء وسيلة للسخرية من زمنه ودنياه.[1]

فيقول ساخرا من زمنه وعصره الذي يعيش فيه والذي يضج بالضعف والتخاذل :

(١) المصدر السابق / ج ٢ ص ١٨٠

وقُت يضيعُ وعمرٌ ليْتَ مُدَّتَهَ في غَيرْ أُمَّته مِنْ سَالفِ الأُمْم [1]
أتى الزّمان بَنوُه فى شبيبتهَ فسَرَّهُم وأتيْناه علىَ الهَـــــرمِ

ويسخر من الزمان والدهر والدنيا ويرى أن خير وسيلةً للتعـــامل مع الدنيا هو عدم الاكتراث بها والاستعلاء عليها لأن دأبها ألا تُبَلِغَ طالبـــاً حاجته وبغيته قائلاً:

لاَتَلْقَ دَهْرك إلا غَيْرَ مُكتَرِثٍ مَا دامَ يصَحْبُ فيهُ روَحكَ البدنُ
فمَا يدِوُم سُرورُ ما سُررْتَ بِهِ وَلا يَرُدُّ علَيْك الغَائبَ الْحـــزنُ
مِماً أضرٌ بأهَلِ العِشق أنَّهمُ هَوُوا وماَعرُفوا الدُّنيا وما فَطنواُ

و تمتد سخرية المتنبي لتشمل الدنيا الحقيرة الحافلة بـــالكثير مـــن المتناقضات الصارخة والتى ألفت أن تحابي من يشـــابهونها فـــى الخســـة والوضاعة وتناصب العداء من يسمون عن وضاعتها من كرام النفـــوس ، والتى لو أنصفت لا نقلبت الأوضاع فيقول: [2]

(١) شرح ديوان المتنبي / للبرقوقي ج ٤ ص ٢٩٥ - ٢٩٦
(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ٣٦٤

وَشبهُ الشيءِ مُنجذبٌ إليهِ ... وَأشْبَهُنا بُدنيانَا الطَّغَامُ [1]

وَلو لمْ يعلُ إلاّ ذو محل ... تَعَالىَ الجيشُ وانحط القتام

ولوْ لم يَرْعَ الا مُسْتَحقٌ ... لِرُتبتهِ أسَامَهُمُ المسَامُ

ويسخر المتنبي من هذه الدنيا الخادعة التى لا تبقى على ما تهب ولا تحافظ على عهد أو تتم وصلا ومع ذلك نحن حريصون عليها مع علمنا بغدرها وعدم دوامها فتعلقنا بها كتعلقنا بالمرأة الغانية التى دأبت على ان تأسر وتسبي القلوب والعقول وتخدع وتغدر ونحن مع علمنا بغدرها لا نملك إلا أن نستسلم لحبها ونحرص على وصالها قائلا :[2]

أبداً تَسْتَردُّ ما تهبُ الدنـ ... ـيا فياليْتَ جُودَها كانَ بُخْلا

فَكَفَتْ كَوْنَ فرحةٍ تُورِثُ الغمَـ ... ـمَ وخِلٍّ يغادرُ الوَجْدَ خِلّا

وهى مَعْشُوقةٌ على الغدرِ لاتحـ ... ـفظُ عهداً ولا تتم وَصْلا

كُلُّ دَمْعٍ يَسيلُ مِنْها عليهـ ... ـا و بفكٍّ اليدَين عَنْهَا تخلّى

شِيَمُ الغانِياتِ فيهاً فَلاَ أدْ ... ري لذا أنّث أسمها النّاسُ أمْ لا

ويؤكد المتنبي سخريته من الدنيا التي لا يستطيع أحد أن يرتكن إليها ولا أن يظفر منها بنائل فهى بغدرها بمن اطمئن إليها وتفانى على الفوز بها أشد غدراً من المرأة الفاجرة التي دأبت على الغدر والخيانة لأصحابها فهي لا تقييم على خليل من خلال استعلائه عليها وعلى غدره قائلا :

---

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ١٩٢ – ١٩٣

الطغام : ازذل الناس وغوغاؤهم ويقال للأحمث طغامة ، ذو محل : ذو منزلة رفيعة ، القتال ك الغبار ، يرع : اى يكون راعيا وحاكما ومسئولا ، اسامهم : رعاهم وكان مسئولا عنهم ، المسام ، البهائم وقيل الرعية

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٥٠ – ٢٥١

فِذِي الدَّارُ أخون من مُومس وَأَخْدَعُ مِنْ كفةَّ الحَابل [1]
تَفَانىَ الرَجَالُ عَلىَ حُبِّهَا وَما يَحْصُلونَ عَلىَ طِائلِ

ويسخر المتنبي من تلك الحياة وعبثيتها وتناقضها التي تأبى إلا أن تصفو لجاهل أو غافلٍ أو من يغالط فى الحقائق نفسه فيقول :

تَصْفو الحياةُ لجاهِلٍ أوْ غافِلٍ عَما مضَىَ فِيها ومايَتوقَّـــعُ [2]
ولَمِنْ يُغالِطُ فى الحَقائِقِ نَفْسَهُ وَيسوَمُهَا طَلَبَ المُحالِ فتَطمَعُ

ويسخر شاعرنا من تعلقنا بهذه الحياة مع عبثيتها وعـــدم جدواهـــا وحتمية زوالها ومن سخرية القدر والحياة التى نعد لها السلاح لندافع بـــــه عن حياتنا فتقتلنا المنون بلا قتال ونستعد بالخيل القوية السريعة لننجو بـــها من المهالك والمصائب فإذا بالمهالك تأتينا وتصرعنا علـــى حيـــن غـــرة، وحتمية الموت تأبى إلا أن تضع النهاية لتلك الحياة والأحياء فيقول :

نُعَدُّ المشرفِّيةَ والعوَالـــي وتقتُلنا الْمنونُ بِلا قتِـــالِ [3]
ونرتبطُ السَوَّابقَ مُقرَّباتٍ وما ينجِينَ مِنْ خَبب اللَّيالي
وَمَنْ لم يَعشَّق الدّنيا قديماً وَلكنْ لاسبيلَ إلى الوِصَالِ

---

(١) شرح ديوان المتنبي / للبرقوقي ج ٣ ص ١٦٢ – ١٦٣
المومس : المرأة الفاجرة ، الحابل : الصائد ذو الشرك
(٢) المصدر السابق / ج ٣ ص ١٣
(٣) المصدر السابق / ج ٣ ص ١٤٠

﴿ خصائص السخرية في شعر أبو الطيب المتنبي ﴾:

وإذا كانت السخرية تعتمد على الشعر وطريقة تركيبه من خـــلال تصوير أو نقد تصلبا شاذا أو ذهولا عن الحياة وما فيها من نظم وأســاليب أو تنافر مع قوانين الطبيعة وتبرزه بطريقة خاصـــة كـــاللعب بالألفـــاظ - أو المبالغة أو المقارنة بين عامل ما ونتيجة لم تكن متوقعة أو غير ذلـــك فإن من الطبيعي أن يركز كل ساخر على بعض هذه الأساليب ويعتني بـــها اعتناء خاصاً وأن تتطبع تلك الطرق الخاصة بطابع قائلها ، فيكون لكـــل شاعر ساخر ما يميزه من سمات فنية من حيـــث الشـــكل " الصياغـــة " والمضمون " المحتوى الفكرى والشعورى ".

﴿خصائص الشكل فى سخرية ابى الطيب المتنبى ﴾:

تتسم الألفاظ فى سخرية أبي الطيب المتنبي بالوضوح والســهولة الفنية التي لا تسقط بها إلى السوقية وهذا الوضوح هـــو الملائـــم لشـــعر السخرية الذي لابد أن يفهم من قطاع عريض من المتلقين حتـــى يؤتـــي تأثيره وثماره لأنه يعتمد على السرعة فـــى الفـــهم والإدراك واللماحيـــة الشديدة حتى يكون تأثيره أوقع. ووضوح الألفاظ يساعد على ذلك والمتتبع لألفاظ المتنبي يجد إنها بعيدة عن البدوية أو الغرابة الفنية التي يلجأ إليـــها فى بعض أشعاره.

كما يتميز أسلوبه بالبساطة والإنسيابية فى التعبير التى تعد أهـــم سمة من سمات شعر السخرية عند شاعرنا .

ويزخر أسلوب شاعرنا بالألفاظ الموحية ذات الدلالات الإيحائيـــة المؤثرة التى لها مخزون وطاقة شعورية عميقة كامنة فى نفوسنا من مثــل - قنديد - بشمن - نواطير - اغتال - خان - الحر - العبـــد - الملاهيـــا - ارانب - بوقات- طبول - الطغام- الغنيه - الشرك - الجبان - وطئتـــها - الأصنام - الكركدن - زق رياح - الرقى - التراب - الانجذاب - غنـــم - المنون - المشرفية - العوالى - الوصال - يخلد - زوال - الحب - القلـــم - التيه - دام - الرقاد - التعب - التوحيد - البرية - المعـــالى - الاجـــداد - الآباء - عفة - كلاب - الشويهات - الابل - الضب - الخبيـــث - قفـــاه - البهائم - المضحكات - ضحك - كالبكا - ربات الحداد البواكيا - خديعـــه - الشجاعة - العقل - يشقى - الجهالة - ينعم - السقيم - العجز - ســـخين - العين - العصا - انجاس مناكيد - فى يد النخاس دامية - الملك - الأسياف ظامئة - والطير جائعة - الملك - الأسياف ظامئة - الطير جائعة - الكلـــب - وغد - قرد يقهقه - عجوز تلطم - صارد الناس خبا- اشك - اصطفيه - يجتدع - مضميا - جودة الكفن - الهمّ- اللجـــم - القلـــوب - أخـــزى - الهامة - الأنف - عمى - الرؤوس - النهى - الفحول البيض - ســـرور- الرغام - الجهل - الغباء - الغفلة - الكذب - كذابين - أهل الحفظيـــة - الخديعة - يزع - الضحك - الألم - فتى - اللؤم - الحَزَنّ - دهر - زمن - حياة - دنيا - موت - الأوثان - الألم - مشفرة - بدر الدجى - العشـــق - حافيا - نعله - صغار - كبار ابيض - اسود - سحنته - مكترث - فطنوا - الصيد - النتن - الشك - التهم - الغدر - عابد - جبينه دام - أدمٌ - الســـام - جثث - دفين .

كما يكثر فى أسلوبه من صيغ التصغير التى تدل علـــى التحقـــير والتسفيه :

التى هى صدى لرفضه للواقع الذى يئن بالمتناقضـــات وانعكاســـا لاعتزازه بنفسه التي يراها أرفع من تلك المهاترات والسلبيات التى يمـــوج بها عصره .

مثل الخويدم : تصغير خادم للمبالغة فى إهانة كافور

ومثل كويفير : للاستهزاء و السخرية والتقليل من شأن كافور و أهيلـــه : لاحتقار أهُل هذا الزمان المذموم والاستهزاء بهم والتقليل مـــن شـــأنهم - **والأحميق :** التى توحى بقمة الضآله والاحتقار .

﴿ أساليب السخرية في سعر أبو الطيب المتنبي ﴾:

وتتنوع أساليب السخرية فى شعر أبي الطيب المتنبي ما بين رمـــز - وقصص - ومبالغة - ومقارنة بين عامل ما ونتيجة لم تكـــن متوقعـــة - ومن لعب بالألفاظ - واهتمام بالمقابلة بين المعاني - وابراز التناقض بيـــن الصور وإن كان يكثر فى سخريته من المبالغة - والمقارنة بين عامل مـــا ونتيجة لم تكن متوقعة - ومن اهتمام بالمقابلة بين المعانى وابراز التناقض بين الصور - والرمز.

الرمز :

استخدم المتنبي فى سخريته الرمز بمعناه العام الذي يشمل كل مـــا يحل محل شئ آخر ويومئ إليه عـــن طريـــق علاقـــة متعـــارف عليـــها

أو مشابهة عرضية [١] ويشمل الرمز الكناية وكل أنواع المجاز المرسل والتشبيه والاستعارة بما فيها من علاقات دلالية معقدة بين بعض الأشياء وبعضها الآخر [٢]

فإذا بعلاقة التشابه فى الرمز فى سخرية أبى الطيب المتنبي لا يقصد بها التماثل فى الملامح الحسية بل يقصد بها تلك العلاقات الداخلية بين الرامز والمرموز[٣] التي تقوم أساساً على : تشابه الأثر النفسى وليس المحاكاة الخارجية.

فالرمز فى الأدب لا يقرر ولا يصف بل يومئ ويوحي بوصفه تعبيراً غير مباشر عن النواحي النفسية وصلة بين الذات والأشياء تتولد فيها المشاعر عن طريق الإثارة النفسية لا عن طريق التسمية والتصريح[٤].

وسخرية أبى الطيب المتنبي مترعة بالرمز تظهر تلك الرمزية من خلال استخدامه للتعبيرات الكنائية الساخرة التى تقوم على الرمز من مثل قوله " لحم على وضم " التى ترمز الى شدة الضعف ، " من كاد عنه الرأس ينتقل " ترمز الى شدة الذعر والاضطراب " أرانب " ترمز إلى الجبن " جبن ملوك عصره وتخاذلهم " ضاق فتر عن مسير " ترمز عن الصغر والحقارة والضآلة " مفتحه عيونهم نيام " ليرمز إلى الغفلة ، "

---

(١) Webesters new collegate dictionary P.M 11 80 USA 1974

(٢) انظر مادة Symbol · A dictinary of literary teims

عن الاتجاه الساخر فى أدب الشدياق / شوقى محمد المعامل ص ٢٤٥.

(٣) الرمزية والأدب العربى الحديث / لأطون كرم ص ٩ ط دار الكشاف بيروت ١٩٨٦

(٤) الأدب المقارن / غنيمى هلال ص ٣٩٨ ط الانجلو المصرية سنة ١٩٦٢م

وخيل ما يخرُّ لها طعين " كرمز لعدم الجدوى ، " تَتَقَدُّ تحت الذعر منـــه المفاصل " التي ترمز إلى شدة الخوف والذعر.
" الكركدن" الذى يرمز إلى قبح المنظر بالإضافة إلى حيوانيته .

ويوظف أبو الطيب المتنبي الرمز ودلالته الإيحائية بدقة بالغة فـــى شعر السخرية لدرجة أن السامع لأبياته لا يجد بديل عن هذا الرمـــز فـــى موضعه وتلك خاصية من خصائص الصياغة فـــى شـــعر أبـــو الطيـــب المتنبي.

﴿ الاهتمام بالمقابلة بين المعاني والمواقف﴾:

يكثر أبو الطيب المتنبي في شعره الساخر من المقابلة بين المعـلني والمواقف المختلفة، ومن ذلك مقابلته بين كل من موقف سيف الدولة فـــى تصديه للروم وتعرضه للموت وانشغاله به وبين غيره من ملوك عصـــره الذين شغلتهم الملذات ومجالس الخمر فى قوله ساخرا من ملوك عصره :

ما الذى عنده تدارُ المنايـــا كالذي عنده تدارُ الشمول

ومقابلته بين حالة الدمستق عند دخوله الحرب مع ســـيف الدولـــة وشدة إقدامه عليها وبين حالته بعد هزيمته وفراره منها حيث يقول :

أتى مرعشاً يستقرب البعد مقبلاً وأدبر اذا اقبلت يستبعد القربا

تلك المقابلة التى تثير السخرية وتعمقها وتؤكدها فى نفس المتنبي.

المبالغـــــة :

يعتمد المتنبي في سخريته على المبالغة كأداة لإثارة المزيـــد مـــن السخرية والضحك وتأتي مبالغات المتنبي خفيفة الظل لا تكاد تشعر فيـــها بأنها مبالغة ويبدو أن الصياغة الخاصة التي يتميز بها شاعرنا يرجع لـــها الفضل فى ذلك، ومن تلك المبالغات المستساغة خفيفة الظل التى لا نملـك أنفسنا من الضحك عليها مثل قوله في السخرية من كافور " وأسود مشـفره نصفه " ولنا أن نتخيل مشفرا بهذه الضخامة كيف يكون وضعه فى عيـــن من يراه ووقعه فى نفسه :

فإننى أفدت بلحظي مشفريك الملاهيا

فما أبلغها من سخرية وما أشد تأثيرها فى نفس السامع لها وقوله " "شمس منيرة سوداء" فما أشدها من مبالغة فى المدح توحي بنقيضها مـــن المبالغة فى السخرية .

﴿ المقارنة بين عامل ما ونتيجة لم تكن متوقعة ﴾:

ويعتمد المتنبي فى سخريته على المقارنة بين عامل ما ونتيجة لـم تكن متوقعة ومن ذلك قوله :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقلهِ وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعمُ

وقوله ساخراً من كافور

أكلما اغتال عبدُ السوءِ سيده أو خانه فله فى مصر تمَهيدُ

- **اللعب بالألفاظ :**

ويستخدم المتنبي اللعب بالألفاظ كأسلوب من أساليب السخرية فيستغل اسم القاضي الذهبي للسخرية منه ومن نسبه وذهاب عقله فيقول ساخراً منه :

لما نُسبت فكنّت ابناً لغير ابٍ ... ثم امتحنت فلم ترجع إلى أدبِ
سميتَ بالذَّهبي اليوم تسمية ... مشتقةٌ من ذهاب العقل لا الذهب
ملقب بك ما لُقبْت وَيْكَ به ... يا أيها اللقب الملقى على اللقبِ

ومن ذلك استغلاله نفى الاستفهام عن أهل عصره " بمن " التى للعاقل لنفي معانى الإنسانية والإدراك والعقل عنهم من خلال توظيف هذا اللفظ " من " ولعبه به فى قوله :

حولى بكل مكان منهم خلق ... تخطي إذا جئت فى استفهامها بمن

- **إسلوب التجاهل :**

ويعتمد المتنبي على أسلوب التجاهل المحمل بالتعجب والدهشة كأسلوب من أساليب السخرية اللاذعة المحمل بالشحنات الانفعالية ومن ذلك قوله :

أيملك الملك والأسياف ظامئة ... والطير جائعةٌ لحمٌ على وضَمِ؟

وقوله ساخراً من بنى كلاب :

أرادت كِلابٌ أن تفوز بدولةٍ ... لمن تركت رعي الشويهات والإبل؟

وقوله ساخراً من أهل عصره :

تشابهت البهائم والعبدى ... علينا والموالي والصميم

وما أدرى إذا داء حديث أصاب الناس أم داء قديم؟

وقوله ساخراً من غدر الدنيا :

شيم الغانيات فيها فلا أد ري لذا أنث الناس اسمها أم لا !

﴿الصورة الساخرة﴾:

تمتاز الصورة الساخرة فى شعر أبو الطيب المتنبي بأنها تتسع لكل من الصورة البيانية - والصور الإيحائية ذات الظلال والإيحاءات المعنوية التي لا تخرج عن معانيها الحقيقية ولكنها فى مواقعها قادرة على آداء الصورة الساخرة بقدرة رائعة و تأثير قوي.

وتكون ميدانا لكل الحواس والملكات الحسية والروحية فتموج بالمعنى والحركة والعديد من الألوان والأشكال .

كما تتميز بما تحمله هذه الصور من شحنات انفعالية من خلال صياغتها بأسلوب انفعالي تعجبى أو انكارى ساخر أو خبري يقطع بسلامة الصورة المراد السخرية منها والتسليم بها .

ويلعب التناقض دوراً خطيراً فى الصور الإيحائية الساخرة إذ يقوم عليه المفارقات المثيرة للسخرية والتعجب عن طريق بنية متوازنة ورائعة ومن خلال صياغة خاصة وبناء فني متميز ومثال ذلك تلك الصورة الساخرة التى رسمها المتنبى لحاكم مصر " كافور وحاشيته " تلك الصورة التي يلعب التناقض فيها دورا خطيرا ويتآذر مع الأسلوب الأنفعالي لتعميق الصورة وتكثيفها فى دقة بالغة حيث يقول :

وماذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكـــا
بها نبطي من أهل الســـواد يدرس أنساب أهل الفلا
وأسود مشفرة نصفـــــــه يقال له أنت بدر الدجى

فما أشد تأثير تلك الصورة الإيحائية الساخرة التى تجعلنا نضحـــك عليها فإذا بضحكنا يحمل بين طياته الألم، والتـــي يعلـــب التنـــاقض دور خطير فيها من خلال المفارقات التصويرية والمقابلة بين الحقيقة والوهـــم بما يثير الضحك والسخرية من انقلاب الأوضاع.

حيث النبطي الأعجمى يدرس أنساب العرب وهو أبعد الناس عنها واذا الأسود الذى لا يتخلل سواده أى بارقة ضياء بل يزيده مشفره ســـوادا وسوءا و قبحا اذ يمثل نصف حجمه مما يجعل منه صورة " كاريكاتوريـة" ضاحكة من خلال هيئته التى رسمها له وعلى الرغم من ذلك يقال له وهو على مثل هذه الحالة من القبح " انت بدر الدجى " فما اشـــد تـــأثير هـــذه الصورة الساخرة وأعمق تناقضها المثير للضحك الهستيرى المستمر .

معتمدا فى آداء تلك الصورة على الألفاظ الموحية من مثل " مـــن المضحكات " التي تضفى ظلال المهزلة الهزلية الممتدة " وضحك كالبكـا" التى تضفى ظلال المهزلة المأسوية و " نبطي " التى تحمل معنى العجمـــة والتحقير و " أهل السواد" وما تضيفه من إشـــعاعات و" مشـــفرة " التـــي توحي بصفة الحيوانية .

وعلى المفارقات التصويرية وما تحمله من متناقضات وعلى تكثيف للصورة ولأثرها: من خلال إرداف " نبطي " بـ " من أهل السواد " و" أسود بمشفرة نصفه " - انت بدر " الدجى " التى تزيد من تكثيف الصورة وتعميقها فهو لم يكتفي بلونه بل أردفه بمشفرة ولم يكتف بذلك بل زاده بجعله نصفه فإذا بالمبالغة تزيد الصورة تكثيفا وعمقا وكذا أنت بدر اردفها بالدجى ليزيد تلك الصورة تكثيفا وعمقا على الجانب الآخر إذ البدر يكون جماله وضوؤه وضيائه أبهى مع شدة الظلام الحالك .

ومن اعتماده على الإسلوب الإنفعالى التعجبى : " وماذا بمصر من المضحكات ؟ " والأسلوب الاستدراكى الذى يشد الانتباه ولكنه ضحك كالبكا ويكون أكثر تأثيرا في النفس من خلال الهزة التى يحدثها .

كما يلعب الأسلوب الخبرى فيها دور مهم فى الاقناع والقطع بسلامة الصورة المراد السخرية منها والتسليم بها لتكون أوقع فى النفس .

وتتآذر الصورة البيانية مع الصورة الإيحائية فى تلاحم وانسجام تام ودقة تعبيرية رائعة فى سخرية أبى الطيب المتنبي ويظهر ذلك من خلال تشبيه " الكلمة بضدها " ضحك" " كالبكا " وما يحمله من المقابلة الموحية بالتناقض وكأن المتنبي قد استطاع أن يصل إلى أهم خصية من خصائص الشعب المصرى الذي يتخذ من الضحك والتهريج ستاراً يخفي به ما يعانيه ويقاسيه وطريق للتنفيس والتخفيف عما يعانيه.

و" مشفره " تلك الاستعارة التصريحية التى توحي بالقبح والحيوانية والسخرية والتى تتضاعف من خلال وصفها بأنها تبلغ نصف

جسم صاحبها فإذا بتلك المبالغة تزيد من إيحـــاء الاســـتعارة التصريحيـــة وتأثيرها النفسي وتحول صاحبها الى صورة هزلية مثيرة.

وقد تنفرد الصورة الإيحائية الساخرة بواقعيتها فـــى شـــعر أبـــى الطيب المتنبي فإذا هى بدقته التعبيرية لا تقل تأثيراً عن الصورة البيانيـــة معها " ومن ذلك " قوله:

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

فإذا هو يدهشنا ويصدمنا بمفارقات عصره التـــي تتنـــاقض مـــع قوانين الطبيعة والعقل وناموس الحياة الذي يأبى أن يكون كرام الناس هـــم المستهدفون من هذا الزمان - وأن يكون خلوهم من الهم مرتبط بخلوهـــم من الفطن والذكاء فما أعمقها من مفارقة تعمقها تلك الصياغـــة المتمـــيزة الفريدة الدقيقة التى أملاها عليه موقفه وانفعاله، والمعتمدة علـــى التنـــاظر والتكرار والتقسيم الموسيقى فى البنية الشـــعرية التـــي تعمـــق إحساســـنا بالسخرية والدهشة حيث يبدأ الشطرة

الأولى بـــ" افاضل " الذي يناظر " أغراض " و " أغراض " يليـــها جـــار ومجرور " لذا الزمن " وهى تناظر " اخلاهم " فى الشطرة الثانية والتـــى تليها " جار ومجرور" " من الهم " الذى يناظر " من الفطن " فـــى بدايـــة الشطرة الثانية والتى يتكرر فيها " من" ثم أن العلاقة بين الفعل " يخلـــو" و "أخلاهم " تزيد البنية الشعرية تماسك وترابط وتربط الشـــطرة الثانيـــة برباط وثيق فإذا القسم الأول من الشطرة الأولى (أفاضل الناس) يـــوازن " يخلو من الهم " القسم الأول من الشطرة الثانيـــة والقســـم الثـــانى مـــن الشطرة الأولى " أغراض لذا الزمن " يوازن القسم الثاني مـــن الشـــطرة الثانية (اخلاهم من الفطن) من حيث التقسيم الموسيقي وإن كانا يختلفـــان

فى البناء الصوتي وإذا بالشطرة الثانية ترد على الشطرة الأولى فى تناغم تام يزيد من انفعالنا بهما . فإذا بالتناقض والتماثل يمثل لبنة أساسية في البنية الشعرية في سخرية المتنبي وصوره الإيحائية الواقعية بالإضافة الى تناقض المعنى .

ومن الصور الإيحائية الساخرة التى مع واقعيتها لا نملك أنفسنا من الضحك عليها والتأثر بها صورة الكناني والعامري وتفاهتهما التي تنعكس من خلال قصتهما مع الجرذ. هذا الفأر الذي اتخذا من قتلهما إياه غدرا وخسة مظهرا بطوليا فريدا يدل على سفاهة أحلامهما ويثير السخرية والضحك على تصرفهما الشاذ حيث يقول :

لقد أصبح الجرذ المستغير ... أسير المنايا سريع العطب
رماه الكناني والعامري ... وتلاه للوجه فعل العرب
كلا الرجين اتّلى قتله ... فأيكما غلّ حرّ السلب ؟
وأيكما كان من خلفه ؟ ... فإن به عضة بالذنب

فإذا الإسلوب الآنفعالي بما يحمله من انفعالات وطاقات عاطفية ومعنوية وفنية من خلال الاستفهامين المتتاليين يثير فينا شحنات من السخرية والتعجب تؤكدها الجملة الخبرية الساخرة " فإن به عضة فى الذنب " والتي تمثل في مضمونها مفاجأة تبلغ بها الصورة الساخرة قمة السخرية والإضحاك من تلك المسرحية الهزلية .

وإذا بالإسلوب القصصي والحكائي المعتمد على المفاجأة يزيد من تأثير تلك الصورة الواقعية بتضافره مع الأسلوب الانفعالى والخبرى وانسجامهم انسجام تام فى البنية الشعرية. ويرتكز المتنبى فى سخريته على الصورة النفسية بجانب الصورة الإيحائية والبيانية وتلعب الصورة

النفسية فى سخريته دور مهم فى الإضحاك والسخرية لأنها تمثل تصلبا شاذا وذهولا عن الحياة.

- ومن تلك الصور النفسية تلك الصورة الساخرة التي يرسمها للخليفة العباسي في عصره والتي يقول فيها :

أيملك الملك والأسياف ظامئة والطير جائعة لحم على وضم
من لورأني ماء مات فى ظمأٍ ولو مثلت له فى النوم لم ينم

فإذا هو يرسم صورة هيكل انساني مرتعد الأطراف تنتابه حالة من حالات الصرع التى تنتاب الذهاني من الخوف. الفزع والذعر وقد وضح في إطار عظيم وهو كونه ملك الملوك وخليفة المسلمين في وقت عصيب تتهدد الأمة الإسلامية جحافل الروم وجحافل النفوس الطامعة مما يثير الضحك والسخرية بأن يكون مثل هذا المهزوز فى مثل هذا المكان العظيم وفى تلك الظروف الصعبة.

- ويعتمد المتنبي في صوره الساخرة على كوميديا الموقف التي تعتمد على المفارقات التصويرية والمقابلة الفنية والتي تنبعث سخريتها من داخل الموقف نفسيه.

ومن ذلك سخريته من ملوك عصره الأعاجم التى تعتمد على المفارقات التصويرية والمقابلة بين ماضيهم وحاضرهم فى قوله :

فى كل أرض وطئتها أمـمٌ ترُعى بعبد كأنها غنـمُ
يستخشن الخزّ حين يلمسه وكان يُبْرَى بظفره القلمُ

فشاعرنا يعتمد فى هذه الصورة الساخرة على كوميديا الموقف التى تفجرها تصرفاتهم الحالية بمقابلتها بتصرفاتهم في الماضي فهم بعد أن كانوا يساقون كالغنم ويسخرون فى خدمة أسيادهم أصبحوا أسياد يسوقون الأمم والشعوب كالأغنام، وهم بعد أن كان يبرى بظفرهم القلم من حدته واستطالته التي يوحي بوضاعتهم وحقارتهم وما كانوا فيه من شقاء ومهانة وهمجية أصبحوا ينعمون ويرفلون فى النعيم والرفاهية فإذا هم الآن يستخشنون الحرير ، وتظهر دقة المتنبي التعبيرية وانتخابه للصورة الشعرية من اختياره لصورة الظفر الحاد المستطيل كالشفرة والتي تبعث السخرية وتدعوا إلى النفور وتثير الضحك وتشتد بها المفارقة.

كما تبدو دقة الصورة التعبيرية فى سخرية المتنبي من خلال استعماله للأسلوب الخبرى الذي يقطع بسلامة الصورة والإذعان لها .

ويستعمل المتنبي الصورة البيانية فى سخريته ويطوعها بدقة بالغة لإثارة الضحك والسخرية من خلال تحويل الشخصية التي يسخر منها إلى شخصية منكرة تدعو إلى الضحك أكثر من الاشمئزاز شكلا ومضمونا ومن ذلك قوله ساخرا من ابن كيغلغ ومصورا له :

وجفونه ما تستقر كأنها ... مطروفة أوفُتّ فيها حصرم

واذا أشار محدثاً فكأنه ... قرد يقهقه أو عجوز تلطم

وتراه أصغر ما تراه ناطقاً ... ويكون أكذب ما يكون ويقسم

فيرسم لنا صورة شخص تتلاحق حركات أجفانه بين الفتح والإغماض بسرعة كبيرة وفى تلاحق غريب فتذكرنا صورته بمن طرفت عيناه أو بمن عصر فيهما الحصر (العنب الذي لم ينضج) وهى صورة لا ترتاح إليها النفس. وفى البيت الثاني ينقل لنا صورة هذا الرجل عندما يتحدث بصوت عال مزعج كله قبح الذى يذكرنا بصورة القرد الذي يقهقه أو صورة العجوز التي تلطم فإذا هو يجمع بين قبح الحديث والمنظر فتتضاعف لدينا دواعي الضحك والاستهزاء من صاحبها ويزيد من دواعي ضحكنا وصفه للقرد بأنه يقهقه بدلا من يتحدث زيادة فى التشوية والتقبيح إذ أن القهقهة أعلى صوتا من الحديث العادي بالاضافة إلى ما توحى به الألفاظ من معاني وشحنات انفعالية من مثل - قرد يقهقه - أو عجوز تلطم .

وشاعرنا يضم إلى الصورة الشكلية الساخرة المثيرة للضحك الصورة النفسية والخلقية محاولاً تكثيف سخريته فى البيت الثالث اذ يسخر من كونه عي كاذب وفاجر فاسق فإذا هو يجمع كل السلبيات التي يركزها فى صورة هذا الشخص التي تجعله مادة للسخرية والضحك .

ويعتمد المتنبي في رسم صوره الساخرة على المبالغة والانتحاب والتكثيف للسلبيات بصورة تثير أشد الضحكات وألذعها ومن تلك الصور الساخرة القائمة على المبالغة والانتخاب قوله ساخراً من كافور :

ويعجبني رجلاك فى النعل إنني ... رأيتك ذا نعل إذا كنت حافيا

وإنك لا تدري ألونك أسود ... من الجهل أم صار أبيض صافيا

ويذكرنى تخييط كعبك شقة ... ومشيتك في ثوبٍ من الزيت عاريا

ولوك فضول الناس جئتك مادحاً بما كنت فى سرٍّى به لك هاجيا
فإن كنت لا خير أفدت فإننـــي أفدت بلحظى مشفريك الملاهيـــا
ومثلك يؤتى من بلادٍ بعيـــدة ليضحك ربات الحداد البواكيـــا

فإذا المتنبي يختار وينتخب الأوصاف التى تثير أشـد الضحكـات من كافور حاكم مصر - منها " شده وعمق تشقق كعبى كافور" و" سـواد بشرته " و" تخييط كعبه " و" مشيته عاريا في ثوب من الزيت " و" غلـظ وضخامة شفتيه " من أشياء حقيقية وواقعية يراها ويعلمها النـاس جميعـا عن كافور فيتخذ منها وسيلة للسخرية من كـافور ووضاعتـه وحقارتـه وقبحه ولؤمه لتكون سخريته أشد تأثيرا وأكثر إيلاما وألذع نقدا.

﴿خصائص المضمون والتجربة الشعرية﴾:

ويتسم المضمون والتجربة الشعرية فـى سـخرية أبـى الطيـب المتنبي.

بعدة خصائص فنية تميزه عن غيره منها :

العاطفة المركزة : تتميز السخرية فى شعر أبي الطيب المتنبي بالعاطفـة القوية المركزة التي تمنح الأدب صفه الخلود[1] فتضفى على الفن ما فـي الرمز من خفة هوائية : لأنها نابعة من ذاته التي تفيض بالعاطفة الجياشـة الهادرة فى تأثيرها المركزة فى تكوينها فنجد سخريته السياسية وتجسـيمه لها نابعة من حب دفين للعروبة يحدو به إلى نقد شديد للحكام والمحكومين

(١) المجمل فى فلسفة الفن : لبنتد وكرو تشبه ترجمة سامي الدروبي ص ٤٧ ط دار الفكر الغربـى بالقاهرة سنة ١٩٤٧

ألا تسمع تلك العاطفة الهادرة الثائرة التى لا نملك ازاءها إلا أن نتأثر بـــها من خلال كل كلمة من كلمات الأبيات وكل عبارة من عباراته وكل بيـــت من أبياته وكل صورة من صوره الساخرة فنرى سخريته السياسية تفيـض بالعاطفة القوية التي تنتقل من خلال دقة صياغتـــه وانفعـــاله الفريـــد الأصيل الذى يرجع الى معاناته من حكم غير العرب للعـــرب وتجربتـــه الحية وفي ذلك قوله :

أحق عاف بدمعك الهمـــــم ... أحدث شئ عهدا بها القـــدمُ
وإنما الناس بالملـــــــوك ... وما تفلح عرب ملوكها عجم
لا أدب عندهم ولا حســـب ... ولا عهود لهم ولا ذمـــــمُ
بكل أرضٍ وطئتها أمـــــم ... ترُعى بعبد كأنها غـــــنمُ
يستخشن الخز حين يلمســـه ... وكان يبرى بظفره القـــلم

كما تظهر العاطفة القوية المركزة من خلال سخريته من مجتمعـــه الذى يئن بنقاط الضعف ومن زمنه الذى لا يحمـــل إلا الضعـــف والـــهمِّ والحزن قائلا :

سبحان خالق نفسي كيف لذتها ... فيما النفوس تراه غاية الألـــــمِ
الدهر يعجب من حملي نوائبه ... وصبر جسمي على أحداثه الحُطمِ
وقتٌ يضيعٌ وعمرٌ ليت مُدتهَّ ... فى غير أمته من سالف الأمـــم
أتى الزمان بنوه فى شبيبتـــه ... فسرهم وأتيناه على الهـــــرم

فإذا نحن لا نملك أنفسنا من الشعور القوي بعاطفة الحزن والألـــم والهَم والحنق والسخط على نقاط الضعف فى هذا المجتمـــع بنـــاء علـــى نظرته المثالية لما يجب أن يكون عليه هذا المجتمع وما هو كـــائن عليـــه بالفعل فتدعوه هذه المفارقة إلى السخرية اللاذعة التى تتعـــدى المجتمـــع إلى الزمان فإذا كل لفظة وعبارة تحمل شحنة انفعالية مكثفة تظـــهر فـــى استخدامه لعبارة " سبحان خالق نفسي " التي تدل علـــى قمـــة الانفعـــال، واستخدامه لليت - التي تدل على إستحالة استبدال أهل مجتمعه بمجتمـــع آخر والجمل الفعلية الماضية المتقابلة التي تدل على الألم والـــهَم الحتمـــي الذي لا مفر من أن يعانيه فى مثل هذا المجتمع ومثل هذا الزمان .

كما تتميز السخرية فى شعر أبى الطيب المتنبي :

بالانفعال الفريد الأصيل :

الذى يتمثل فى قدرة الشاعر على صهر كـــل مكونـــات تجربتـــه الشعرية وتخليقها على نحو فريد بعد أن تمرّ هذه الجزئيات بكيانه وذاتـــه فتتحول إلى شئ جديد.

وشاعرنا فى سخريته ونقده اللاذع ترى شخصيته القوية واضحـــة إلى حدّ أنك لا تستطيع أن تملك نفسك من أن تردد تلك الأبيات وتحفظـــها وكأن هذا الانفعال قد تدفق منك فلا تملك إلا أن تستســـلم لـــهذه العـــدوى النفسية.

فالمتنبي يخلع على سخريته من روحه حيوية وحيـــاة ، ويضفـــي عليها من ذاته وثوريته فإذا هي سياط نارية مشتعلة ومتدفقة ألـــم نســـتمع إليه يقول ساخراً من سيادة كافور هـــذا العبـــد الأســـود لأهـــل مصـــر

واستسلامهم واذعانهم له متخذاً من سيادة كافور أعجوبة الأعاجيب فـــإذا نحن لا نملك إلا أن نردد كلماته النارية ساخرين من هذا الأعجوبة التـــي يقول عنها: (١)

ومصر لعمرى أرض كل عجيبةٍ ولا مثل ذا المخصى أعجوبة نكـــرا
يعدُّ اذا عُدّ العجائـــــــب أولاً كما يبتدى فى العدّ بالإصبع الصغرى

وقوله :

وماذا بمصر من المضحكـــات ولكنه ضحك كالبكـــــــــا
بها نبطي من أهل الســـــواد يُدَرس انساب أهل الفـــــلا
وأسود مشفره نصفـــــــــه يقال له أنت بدر الدجـــــى

ولعل انفعاله الفريد الأصيل هو الذى حدا بالدكتور طه حســين (٢) إلى أن يقول عن تلك الأبيات " إنها سهام نـــافذة إلـــى أعمـــاق السياســة المصرية ولم يتحدث عن هجاء المتنبي لكافور من لم يرد هـــذه الأبيـــات الخالدة التي جاءت فى آخر مقصورته والتي ما احسب متثقفاً خليقـــاً بـــهذا الوصف جهلها أو يجهلها منذ شاع شعر المتنبي فى الناس .

﴿ ارتباط سخريته بموقفه النفسي ورؤيته للحياة ﴾

التجربة الشعرية فى سخرية المتنبي هي خبرة حياة عاشها المتنبي متفاعلا ومنفعلا ومتفهما لكل أبعاد قضاياه الذاتية وقضايا الواقع من حولـــه " فحياة المتنبي وتجربته الفنية شئ واحد لا ينفصـــل وذلـــك لأن الأبعـــاد

(١) ذيل شرح المتنبي/ للواحدى ص ٨٥٨
(٢) انظر مع المتنبي / لطه حسين ص ٣٣٥ - ٣٣٦

النفسية لتجربته الشعرية كانت صدى لمعاناته فى حياته وانعكاساً لكل مـــا قابله فى هذه الحياة ولكل ما احس به من آلام وما صبا إليه من آمال"[١]

فالمتنبي عندما يسخر من إنعدام معنى الصداقة فى أهل عصـــره فهذه السخرية ماهى إلا انعكاساً لإحباطات نفسية عديدة مرت به فى حياتـه ابتداء من علاقته بأصدقاء الطفولة والشباب الذين لم يذكرهم فـــى شـــعره لعدم وجود أى دور لهم فى حياته، ومن تجاربـــه المختلفـــة فـــى الحيـــاة ورؤيته للعديد من الصداقات تنهار تاركة نضوب عميقة قلّ أن تندمل ممـــا حدا به إلى السخرية من الصداقة فى قوله:

خليلك انت لا من قلت خِلِيَّ ... وان كثر التجمُّل والكلامُ[٢]
ولو حيزا الحفاظ بغير عقل ... تجنب عنق صيقلهِ الحُسامُ
وشبه الشئ مُنجذبٌ إليـــه ... وأشبهنا بديانا الطغـــامُ

ولعل تلك الغربة النفسية التي كان يشعر بها المتنبي في مجتمعـــه قد تعمقت اكثر مع كثرة تجاربه فى الحياة وانهيار صداقات كان يشـــعر بقوتها وصدقها ولكن سرعان ما تحولت الى عداوات وخصومات عصفـت بكيانه النفسي وأثرت فى علاقته مع الحياة ولعل من أبرز تلك العلاقـــات التى تركت جرحاً غائراً لا يندمل انـــهيار صداقتـــه مـــع ســـيف الدولـــة الحمداني هذا الأمير والفارس العربي المغوار الذي كان يري فيـــه نفســـه وما تصبو إليه ولعل قطيعته إياه هى التي جعلته يقول ساخراً في قصيدتـــه التي قالها فى مصر سنة ثمان واربعين وثلثمائة:

---

(١) لغة الحب فى شعر المتنبي / عبد الفتاح صالح نافع ص ٢٠٨

(٢) شرح ديوان المتنبي / للبرقوقي جـــ٤ ص ١٩٢ – الطغام : أراذل الناس وغوغاؤهم وقيل معناهـا الحمقى والخساس

فلما صار ود النَّاس خِبـــــّاً جزيت على ابتسام بابتسام[1]
وصرْتُ أشُكُ فيمن اصطفيه لعلميْ أنَّهُ بعضُ الآنـــــام

وفى سخريته السياسية عندما يسخر من ملوك عصره ومن تحكم العبيد فيهم وفي البلاد وأهلها يسخر من خلال احساس نفسى خاص به ناتج عن وجود صورة مثلى لما ينبغى أن يكون عليه الحاكم ماثلة بوضوح فى ذهنه قد اصطدمت بالواقع من خلال مخالطته إياهم فجعلته يصب جام سخطه عليهم قائلاً:

صحبت ملوك الأرض مغتبطاً بهم وفارقتهم ملآن من شنف صدراً[2]
ولما رأيت العبد للحرِّ مالكـــــا أبيت إباء الحرِّ مسترزقاً حراً

فإذا بحالته النفسية وبرؤيته الخاصة لهم تتبعث من خلال اللفظ والعبارة وثنايا الأبيات فنجده فى البيتين السابقين يظهر المفارقات بين ما يجب أن يكون وما هو كائن من خلال المقابلة بين (صحبت - وفارقت) وبين الفعل ورد الفعل في قوله :

(مغتبطاً بهم - وملأن من شنف صدر)

فالمتنبي تتبعث حالته النفسية ورؤيته للحياة من خلال سخريته بحيث لا يمكن فصل إحداهما عن الآخر فإذا بسخريته مرآة لما في نفسه من عاطفة صادقة " ولعل هذه خاصة من أهم خصائص الشاعر المبدع"[3].

(١) شرح ديوان المتنبي/ للبرقوقي ج ٤ ص ٢٧٤
(٢) شرح ديوان المتنبى للوحداى / ص ٨٥٠
(٣) بين حافظ وشوقي/ طه حسين ص ١٠٥ط مكتبه الخانجى

﴿ التحام سخريته مع الموقف العام للقصيدة ﴾

تتميز سخرية أبى الطيب المتنبي بأنها عندما تأتي في قصيدة مدح أو رثاء أو هجاء لا نشعر بانفصالها بل نجدها جزءاً لا يتجزأ من وحدة القصيدة النفسية والفكرية والفنية التي تتعدى وحدة الموضوع .

والمتتبع لشعر السخرية فى شعر أبي الطيب المتنبي يرى أن السخرية قد تنفرد ببعض قصائده أو تغلب على قصائده الهجائية ، وقد تأتى متصدرة لبعض قصائد الرثاء أو من خلالها، وقد تأتي فى مقدمة قصيدة المدح أو فى اثنائها فتلتحم بالقصيدة إلتحاماً تاماً من خلال قدرة المتنبي الباهرة فى الولوج بخفة ودقة إلى السخرية بانطلاق شعوري وفكري هادر وصنعة فنية وصياغة شعرية متميزة فإذا بسخرية المتنبي تكتسب مزيداً من الجمال والإحساس من خلال عرضها داخل العمل الفني وتكسبه الكثير من الرؤى الفكرية والنقدية التى تمثل نقاط ارتكاز ومراكز ثقل وانطلاق داخل القصيدة.

وعندما تأتى أبيات المتنبي الساخرة منفصلة عن القصيدة نجد لها تأثيراً قائماً بذاته قد يعادل تأثير قصيدة كاملة ، وذلك راجع إلى أن سخرية المتنبي لها علوق شديد بالذاكرة لما تحمله من خصائص فنية خرجت بها من كونها تجربة خاصة إلى كونها تجربة إنسانية خالدة يبقى تأثيرها في النفس .

ومثال ذلك أبيات السخرية التي يفتتح بها قصيدته التى يمدح بها " على بن إبراهيم التنوخي " الشريف العربي والتي يبدأها ساخراً من همم

أهل عصره التي اندثرت ومن سيطرت الأعاجم علـــى الحكـم وخنـوع وخضوع الرعية وانقيادهم التام لهم بقوله :

أحُقُّ عافٍ بدمعك الهمـــــمُ ... أحدث شئٍ عهداً بها القدم
وإنما الناسُ بالملوك ومـــا ... تُفلحُ عُرْبٌ ملوكها عجـمُ
لا أدب عندهم ولا حســبٌ ... ولا عهود لهم ولا ذِمـــمُ
بكل أرضٍ وطِئتها أمـــمٌ ... تُرعْى بَعْبدٍ كأنها غَنَـــمُ
يستخشن الخزّ حين يَلمسُهُ ... وكان يُبرىً بظفرهِ القــلمُ

ومن خلال سخطه وتبرمه وثورته على تلك الهمم العاليـــة التـي اندثرت يرى أنها أحق بالبكاء عليها من البكاء على الدمن وآثـــار الديـار وأجدر بأن يفتتح الشاعر قصائده ببكائها من أن يفتتحها ببكاء الأطلال .

ويرى أن سباب اندثار تلك الهمم فساد الحكـــام الأعـاجم وعـدم أهليتهم للحكم وقهرهم للمحكومين فيسلط سهام سخريته على هؤلاء الحكام الأعاجم وعلى المحكومين الذين استسلموا ورضخوا لهؤلاء العبيد اللئام.

ويجعله صغر وضآلة همم أهل عصره واندثارها وحقارة ملـــوك عصره وشعوره بعلو همته بالنسبة إلى همـــم أهـل عصـره وملوكـهم وباستعلائه عليهم يفخر بشجاعته وإقدامه وكرمه مما حدا ببعض ضعـاف النفوس إلى حسده ملتمساً العذر لحاسديه الذى يري أن زيادة فضله عقـاب لهم لإنه يظهر نقصهم، ومتخذا من عذرهم سبيلاً إلى فخره بنفســه فـإذا بتلك السخرية تسلمه إلى الفخر بنفسه بسلاسة وخفة باهرة .

إنى وان لمت حاسدي فمـــا أنكر انّي عقوبُة لهـــــمُ[1]
وكيف لا يُحسدُ امرؤٌ علـــمٌ له على كل هامةٍ قـــــدمُ
كفاني الذم انني رجـــــلٌ أكرم مال ملكته الكـــــرمُ

ومن خلال فخره بكرمه يسخر من لؤم الأغنياء وبخلهم ويـروى أن غناهم قد جنى عليهم لأنهم لو كانوا معدمين لكان خير لـــهم لأنـــهم لـــن يصبحوا أهل للذم، ويسخر من استبعاد أموالهم لهم ومن عار البخل الـــذى سوف يبقى ملازماً لهم حتى بعد وفاتهم إذ يقول :[2]

يَجْنِي الغِنَى لِلِئَامِ لوْ عَقلواُ مَالَيسَ يجْنَى عَلَيْهِم الْعَدمُ
هُمُ لامْوالهمْ ولْسنَ لهُـــــمْ والْعَارُ يَبْقى والْجَرحُ يَلتَئمُ

ويستدعي ذكره لصورة هؤلاء البخلاء والســـخرية مـــن بخلـــهم صورة أخرى يرى أنها مثال للكرم وعلو الهمة وطلب المجـــد ألا وهـــي صورة ممدوحه " على بن ابراهيم التنوخـــــي " والتـــي أثلجـــت صـــدره لاختلافها عن صورة أهل عصره وملوكهم التي أوغرت صدره وبضدهـــا تتميز الأشياء فينتقل بخفة فائقة من السخرية من هؤلاء اللؤمـــاء البخـــلاء إلى مدح ممدوحه الذي يسمه بشدة الكرم مع انطلاق الوجـــه وبالفروســـية والشجاعة والإقدام فى ميدان الحرب والإتقان لفنونه بقوله مباشـــرة بعـــد الأبيات السابقة :[3]

(١) شرح ديوان المتنبي / للبرقوقي ج ٤ ص ١٧٩
(٢) شرح ديوان المتنبي / للبرقوقي ج٤ ص ١٨٠ -١٨١
(٣) المصدر السابق / ج٤ ص ١٨١
- وحائها : سرعتها

مَنْ طَلَبَ الْمَجدَ فليكنْ كعليـ ... ـي يهبُ الألَفْ وهو يَبتسَمُ
ويَطعَنُ الخيلَ كلَّ نافذةٍ ... ليس لها مِنْ وَحَـــائِها أَلَمُ

وهكذا استطاع المتنبي أن يحدث من خـــلال وحـــدة المضمـــون الفكري والشعوري والفني انسجاماً والتحاماً تامـــاً بيـــن أبياتـــه الســـاخرة وفخره بنفسه ومدحه لممدوحه من خـــلال المقابلـــة بيـــن أهـــل عصـــره وسخطه على نقاط ضعفهم وسخريته منهم وبين فخره بنفسه والمقابلة بيـــن فخره بجوده وبين السخرية من لؤم وبخل أهل عصره والإشادة بممدوحـــه وشدة كرمه وعلو همته وسعيه إلى المجد وبلائه فى ميدان القتال ونـــزال الأعداء فإذا بسخريته من أهل عصره وملوكهم تعمق من فخره بنفسه وإذا بفخره بنفسه يعمق من سخريته بأهل عصره وفخره بجـــوده يعمـــق مـــن سخريته ببخل أهل عصره وبخل أهل عصره يرفع من جوده ويعمقه كمـــا يرفع من جود وكرم الممدوح معمقاً له ولصفاته التى تغنى بـــها شـــاعرنا والتي تعمق السخرية بأهل عصره وملوكهم في وحدة والتحام فني تام.

﴿ ارتقاء سخرية أبي الطيب المتنبي إلى الحكمة والمثل السائر﴾

وخروجها من إطار التجربة الخاصة إلى إطار إنساني رحـــب

تتميز السخرية فى شعر أبى الطيب المتنبي بارتقائها إلى الحكمـــة والمثل السائر فقد استطاع أن يخرج بالكثير من الأبيـــات الســـاخرة إلـــى الحكمة والأمثال السائرة التي سارت تتردد على الألسنة في شتى العصـــور فإذا هي تخرج من إطار الموقف الخاص وتجربته الذاتيـــة إلـــى إطـــار الموقف العام والتجربة الإنسانية ولعل ذلك راجع الى قدرة المتنبي فـــي أن يخوض التجربة وينفعل بها فيكتسب من خلالها نظرة خاصة ينظـــر مـــن

خلالها إلى العالم الذي حوله فإذا هو ينظـــر للعـــالم مـــن خـــلال ذاتـــه وإذا بتجربته بمثابة المركز الذي تُردُ الأشياء جميعاً إليه[1] لأنـــها صـــدى لحياة الشاعر وتجاربه الخاصة التى تجاوز بها ظروفه وحـــدود الموقـــف الخاص الذي أملاها عليه لتكتسب صفة الإطلاق والعمومية .

ومن أبيات المتنبي الساخرة التي صارت حكمـــا عامـــة وأمثـــالاً سائرة عبر العصور وفي كل الأزمان قوله :

لولا المشقة ساد الناس كلهـــم ... الجود يفقر والإقدام قتـــــالُ

وإنما يبلغ الإنسان طاقتـــــه ... ما كلُّ ماشيةٍ بالرَّحل شمـــلالُ

إنا لفي زمن ترك القبيح بـــه ... من أكثر الناس إحسانٌ واجمالُ

يرى الجبناء أن العجز عقـــلٌ ... وتلك خديعة الطبع اللئيـــــم

ما كل ما يتمنى المرْء يدركـــهُ ... تأتى الرياح بما لا تشتهى السفنُ

غثاثة عيشى ان تعثُ كرامتـــى ... وليس بغَثٍ ان تغَثَّ المآكـــلُ

لا يعجبن مضيماً حسن بزتـــه ... وهل يروق دفينا جودة الكفـــن

هم لأموالهم ولسن لهـــــم ... والعار يبقى والجرح يلتئـــــمُ

أبداً تسترد ما تهب الدنيـــــا ... فيا ليت جودها كان نجـــــلاً

بكل أرض وطئتها أمـــــمٌ ... ترعى بعبدٍ كأنها غنـــــــم

وشبه الشئ منجذب اليـــــه ... واشبهنا بدنيانا الطغـــــــام

ولو لم يعلُ الا ذو محـــــل ... تعالى الجيش وانحط القتـــا م

---

(١) كولردج / محمد مصطفى بدوي ص ٩١ ط دار المعارف بالقاهرة سلسلة أعلام الفكر الغربي .

ولو لم يرع الا مستحـــــــق لرتبته أسهامهم المســـــــام

فقر الجهول بلا قلب إلى أدب فقر الحمار بلا رأس إلى رسن

إذا كان بعض الناس سيفاً لدولة ففي الناس بوقاتٌ لها وطبــول

ما الذي عنده تدار المنايـــــا كالذي عنده تدار الشمـــــولُ

العبدُ ليس لحُرٍّ صالح بـــــأخ لو أنه فى ثياب الحرِّ مولــودُ

لا تشتري العبدَ إلا والعصا معه إن العبيدَ لأنجاسٌ مناكيـــــدُ

ساداتُ كلِّ أناس من نفوسهــم وسادةُ المسلمين الأعبدُ القزمُ

ومثلك يؤتى من بلاد بعيـــدة ليضحك ربات الحجال البواكيا

ومن جهلت نفسه قـــــذره رأى غيره منه ما لا يـــــرى

هذه بعض أبيات الحكمة والأمثال السائرة الخالدة فـــى الوجــدان الإنساني من شعر المتنبي الساخر الذى استطاع بمضمونه وتميز تجربتــه الشعرية أن ينطلق من إطار تجربته الخاصة إلى رحاب الإنسانية محلقـــاً في رحابها الفسيح ليقف فى مصاف كبار شـــعراء الســخرية بســخريته السياسية والاجتماعية وسخريته من الزمان والحياة والأحياء..

فهرس المصادر والمراجع

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة
أدب مصر الفاطمية	محمد كامل حسين	دار الفكر العربى سنة ١٩٥٠
الاتجاه الساخر فى الأدب	محمد شوقى العاملى	النهضة المصرية
الأدب المقارن	غنيمي هلال	الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٢
أساس البلاغة	الزمخشري	دار صادر بيروت
الأعلام	الزركلي	دار العلم للملايين — بيروت
البداية والنهاية	لابن كثير	دار الفكر للطباعة والنشر
تاج العروس من جواهر القاموس	الزبيدي	دار الفكر للطباعة والنشر
تاريخ ابن خلدون	ابن خلدون	دار العودة بيروت سنة ١٩٧١
تاريخ الإلحاد فى الإسلام	عبد الرحمن بدوي	مكتبة النهضة العربية المصرية
تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي	دار الكتب العلمية — بيروت
تاريخ الطبري	الطبري	المطبعة الأزهرية
التأمل فى الكون وظواهر الحيلة فى شعر أبي الطيب المتنبي	حفيظة اسماعيل رمضان	رسالة ماجستير مخطوطة بكلية الدراسات الإسلامية العربية للبنات بالإسكندرية
تجارب الأمم	ابن مسكويه	التمديد الصناعية
التنبيه والأشراف	المسعودي	منشورات دار مكتبه الجلال- بيروت
التهكم والسخرية في الشعر الجاهلي	أمال ضرار	بحث بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م.
بين حافظ وشوقي	طه حسين	ط مط الخانجي القاهرة
حصاد الهشيم	إبراهيم عبد القادر المازني	المطبعة المصرية — مصر

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة
الحضارة الإسلامية	ادم متز — ترجمة محمد عبد الهادي	لجنة التأليف والترجمة والنشر
خزانة الأدب	البغدادي. تحقيق عبد السلام هارون	مكتبة الخانجي بالقاهرة
دراسات علم النفس	حامد عبد القادر	المطبعة النموذجية بالحلمية ١٣٦٧هـ — ١٩٥٤م.
خزانة الأدب	البغدادى — تحقيق عبد السلام هارون	دار مكتبة العربي سنة ١٩٦٨م.
رائد الدراسة عن المتنبي	كوركيس عواد وميخائيل عواد	وزارة الثقافة والفنون العراقية دار الرشيد ١٩٧٩م
رسالة الغفران لأبي العلاء المعري	عائشة عبد الرحمن	دار المعارف بالقاهرة
الرمزية والأدب العربي الحديث	انطوان كرم	طبعه دار الكشاف بيروت ١٩٨٦م.
زهر الأدب للحصري	تحقيق محمد البجاوي	دار إحياء الكتب العربية ١٩٧٢م.
السخرية في أدب المازني	حامد عبده الهوال	الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م.
شذرات الذهب	ابن عماد الحنبلي	لجنه إحياء التراث دار الافاق بيروت
شرح ديوان المتنبي	البرقوقي	ط دار الكتاب العربي اللبناني.
شرح ديوان ابن حبى	الفسر	مخطوطة بجامع الازهر
الضحك	هنرى برجون ترجمه سامى الدروبي وعبد الله عبد الدايم	ط مصر ١٩٤٨م.

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة
ظهر الاسلام	أحمد أمين	لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٩٢ م نشر مكتبه نهضة مصر
علم النفس التربوي	نخبة من علماء النفس والتربية.	ط ١٩٨٩ — ١٩٩٠
الفخري فى الآداب السلطانية	لابن طباطبا	المطبعة التجارية ١٩٢٧ م.
الفصل فى الاهواء والملل والنحل	لابن حزم	ط مصر
فصول فى الشعر ونقده	شوقى ضيف	دار المعارف — مصر
الفكاهة فى الأدب وأصولها وأنواعها	أحمد الحوفي	مكتبه نهضة مصر بالفجالة
فن الهجاء وتطوره عند العرب	ايليا الحاوى	دار الثقافة بيروت
في أدب مصر الفاطمية	محمد كامل حسن	ط دار الفكر العربي ١٩٥٠م.
القاموس المحيط	الفيروز أبادي — تحقيق إبراهيم مصطفى	ط الثالثة مطبعة الحسينية المصرية ١٩٣٣م.
كافوريات أبي الطيب المتنبي	نعمان القاضى	مركز الشرق الأوسط ١٩٧٢م.
الكامل	ابن الأثير	المطبعة الأزهرية ١٣٥١هـ.
كولردج	محمد مصطفى بدوى	دار المعارف بالقاهرة سلسلة اعلام الفكر العربى
كشف أسرار الباطنية	محمد بن مالك اليمانى	الأنوار ١٣٥٧هـ — ١٩٣٩م
لسان العرب	ابن منظور	ط دار المعارف بالقاهرة

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة
لغة الحب فى شعر أبي الطيب المتنبي	عبد الفتاح صالح نافع	رسالة بكلية الآداب جامعة الإسكندرية
المجمل فى فلسفن الفن	بتدو كروتشيه ترجمة سامي الدروبي.	ط دار الفكر الغربى بالقاهرة ١٩٤٧م
المختصر فى أخبار النشر	أبى الفداء	دار الثقافة للطباعة والنشو- بيروت
المختصر	أبى الفداء	المطبعة الحسينية
مروج الذهب	المسعودي — تحقيق محي الدين عبد الحميد	ط القاهرة ١٩٦٧م
المعجم الأدبي	جبور عبد النور	لبنان ١٤١٣هـ — ١٩٩٣م
معجم مصطلحات اللغة والأدب		
المعجم المفصل فى الأدب	محمد التونجى	دار الكتب العالمية
الملل والنحل	الشهر ستاني	بيروت لبنان ١٤١٣هـ ١٩٩٣م
المعجم الوسيط	إبراهيم مصطفى وآخران	ط ٢ ط مجمع اللغة العربية
مع المتنبي	طه حسين	دار المعارف — القاهرة
المنتظم	ابن الجوزى	حيدر اباد ١٣٥٧هـ
النجوم الزاهرة	ابن تغري بردي	دار الكتب سلسلة تراثنا
النقد الأدبى	أحمد أمين	ط دار النهضة المصرية ١٩٧٢م
الوافي بالوفيات	الصفدي	فرانز شتاينز بغيبادن ١٩٨١م

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة
ولاة مصر	محمد بن يوسف الكندى-تحقيق حسين نصار	دار صادر بيروت ١٩٥٩م
وفيات الأعيان	ابن خلكان تحقيق احسان عباس	الثقافة بيروت
يتيمة الدهر	للثعالبي	دار الكتب العلمية بـــيروت ١٩٧٩م

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	رقم الصفحة
التمهيد	
مفهوم السخرية بين المدلول اللغوى والأدبى	
بين السخرية والهجاء	
بين السخرية والتهكم	
بين السخرية والفكاهة	
دوافع السخرية في شعر أبي الطيب المتنبي	
في إطار بيئته الخاصة	
في إطار عصره وبيئته العامة	
الاتجاه الساخر في شعر أبي الطيب المتنبي	
السخرية الاجتماعية	
السخرية السياسية	
السخرية السياسة المرتدية رداء الدين	
السخرية من الدهر والزمان والحياة والأحياء	
الخصائص الفنية للسخرية في شعر أبي الطيب المتنبي	
خصائص الشكل	
خصائص المضمون والتجربة الشعرية	
الفهارس	
فهرس المصادر والمراجع	
فهرس الموضوعات	